

روايات عبير



حب عبر القارات



Ginette DAVET

No 672

روايات عبير



يقتتحم "جان ببير" حياة "أني" الفتاة الرومانسية
الرقيقة كأنه إعصار قوي لا يستطيع شيء أن يصمد أمامه.
تحت سماء "إفريقيا" الصافية تتوجه "أني" في عاطفة دافئة تجاه
مجهول يدعى أنه يعرفها منذ سنوات.
ما هو هذا الماضي الذي يقتسمانه ولا تعرف عنه شيئاً!؟

ثمن النسخة

ISBN 9953-38-078-3

9 789953 380780

لبنان	2500 ل.	قطر	8 ريال
سوريا	75 ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢.٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

الغلاف الأمامي

ركبت "آني" الطائرة لتجد نفسها بعيدة عن وطنها آلاف الكيلومترات. جلست إلى جنب "جان بيير" مستسلمة لاهتمامه وحناته. ومن وقت آخر كانت أصابعهما تتلامس، ويداهما تتشابكان. كانا فرحين لا يشغلهما شيء، والطائرة تحلق وسط سماء زرقاء صافية.

ما فائدة أن تعكر هذه السماء بأي فكرة سوداء إذن؟

الشخصيات

- "جان بيير دوفرين": مهندس شاب يعيش مع والديه في مزرعة لهمما في بلد إفريقي.

- السيد "دوفرين": رئيس المنطقة التي تعيش بها جالية فرنسية في بلد إفريقي. ووالد "جان بيير".

- "آني لاجرانج": فتاة شابة قادمة من "فرنسا"; لتعيش مع والدها في مزرعة يمتلكها لزراعة البن.

الفصل الأول

كان يحب دائمًا الوقوف في "نيامي" أثناء رحلاته بالطائرة، حتى في الصباح الباكر، كان الجو به يشبه الصحراء، وتهب الرياح كأنها محملة بذرات الرمال. في الساعة العاشرة يتحول ضوء النهار الناصع إلى ضوء مبهر لا تستطيع الأعين تحمله، وتصبح الشمس هي ملكة هذا المشهد بشكل مطلق.

توجه مباشرة نحو المشرب وطلب كأساً من شراب. قدم له الساقى الذي بدا أكثر قتامة بزيه الملون طلبه على الفور ولكن بدون اهتمام. غمس شفتيه في السائل البارد اللامع، بقى فترة طويلة ثابتًا في مكانه قبل أن يرتشف الجرعة الثانية.

ألقى نظرة حوله وهو يضع كوبه، كانت ساعة الحائط تشير إلى العاشرة وعشرين دقيقة. العقرب الكبير يقفز، وفي سعادة استعاد جو المطار الحرارة الحانقة، والابتسامة المشرقة لعمال الخدمة.

فوق رأسه، ريش المروحة تحرك الهواء الساخن. تعلقت نظرته بهيكل رشيق. كانت تخترق الباب، بدون شك هي مسافرة على متن الطائرة 707. لقد جذب انتباهه الفستان الأبيض الشفاف. في برهة وجبرة رأى لمحه من الأنوثة الطاغية. بُشكّل تلقائي أمسك كأسه ثم حركه. وتصادمت قطع الثلج بعضها ببعض محدثة صوتاً. حتى هذا الصوت كان إفريقياً.

هب النسيم فطار شعر المسافرة الأشقر الطويل كاشفاً عن وجهها. قطب حاجبيه ونبي ظياءه. كانت تسير بسرعة وفي خطوات

سكتت ضحكته فجأة كما انفجرت فجأة.

- لا يقول لك اسمي شيئاً؟

بدا دهشاً بشكل صريح. انحنى أكثر وتأملها باهتمام أكبر. يالها من وقاحة، ولكن أيضاً يالها من حرارة ودفء. حملتها نظرته التي غلقتها.

- على الرغم من ذلك .. إني متأكد من أنني أعرفك.
وحتى يثبت لها أنه لا يستخدم واحدة من تلك الجمل التي يستخدمها الشباب لبداية حديث مع امرأة جميلة، أضاف في مرح:
- إذا لم يكن اسمك "أني لاجراغ" فإني أرغب في أن تعتبريني واحداً من أكثر المعجبين بك، وهذه ليست كلمات أقولها بدونوعي، على الرغم من حداثة سنك فإن جمالك مبهر حقاً!

تمتمت:

- لكن، لكن ..

ثم توردت تماماً وبدأ صوتها مختنقًا.

كان يبدو أنه لا شيء يستطيع أن يوقف "جان بيير".

- نظرتك الصافية .. الشاردة إلى حد ما تعطيه إيحاء بأن كل شيء متعلق بك. لم أكن في الواقع الأمر قوياً بالدرجة الكافية، ولكن لم يكن لدى سوى رغبة واحدة وهي: أن أحميك.

جحظت عيناً "أني" وهي تنظر إليه في دهشة. لقد تأثرت بعمق، ولم تحاول حتى أن تخفي اضطرابها. تاركة كل ما يربطها بطفولتها، المعهد الديني الذي تربت فيه، ركبت الطائرة لتجد نفسها بعيدة عن وطنها ب حوالي خمسة آلاف كيلومتر، أمام هذا الرجل الجهنومي الجذاب

متناصقة. كان خلف هذا المظهر شيء من التكبر، وفكير في أنها ربما تكون شديدة الخجل أيضاً.

كم من الممكن أن يكون عمرها؟

توقفت أمام طاولة خالية. وفي حركتها لكي تجلس كشفت عن وجهها الملائكي. إنها في مواجهته الآن.

أكثر مما كان يحتاج إليه لكي يراها جيداً. في تلقائية وضع عليه السجائر في جيبه.

اتسعت شفتيه بابتسمامة عريضة وغامضة في الوقت نفسه.

لقد كان طويلاً، أسمراً، يرتدي بدلة قطنية، عريض المنكبين بشكل يشير الانبهاء، في حركته ثقة وأناقة يشيران الإعجاب. في خطوتين رشيقتين كان أمامها.

- أسمى "جان بيير دوفرين".

فرزعت. كانت نظرتها ضائعة في تعقيدات البطاقة وحتى إنها لم تره وهو قادم نحوها. على الفور رفعت رأسها دهشة أمام نظرة عينيه السمراءين الحانيتين، توردت. كانت تتسعق أن تتعرض لمغازلته ولكنها لم تر في عينيه سوى الحنان. لم ينظر إليها رجل أبداً بهذه النظرة! اضطربت عيناه الزرقاواني. كانت تود لو استطاعت أن تطرد هذا الدخيل بنظرة باردة، وبرد موجع ولكن كان ذلك مستحيلاً.

مستفيدةً من دهشتها ومتاكداً تماماً من قدراته ضحك. كانت ضحكة متاغمة، شابة، فرحة ومؤثرة بشكل طاغٍ. عندما حرك رأسه إلى الخلف كشف عن أسنان بيضاء مستوية معتادة على قضم ثمرة الحياة في استمتاع.

الذي عرفها عندما كانت طفلاً، كل ذلك كان من شأنه أن يصيب أي فتاة بالارتكاب مهما كانت قوية.
وبتلقائية غريبة وضع "جان بيير" يده العريضة على ظهر المبعد.
- هل تسمحين لي؟

تسمح له بماذا؟ بان يستمر بالحاديـث عنها بكل هذا الحنان والاهتمام؟ يا له من سؤال! وهـل هذا سؤال حـقيقـي؟ إذ إنه كان قد جلس بالفعل في مواجهتها مبتسماً، جذاباً.
من أين أنت؟

كان يجب عليها أن تتماسـكـ. لا يجب أن تستسلم هـكـذا أمام سحر أول رجل تراه، إن هذا الرجل الشاب الآنيـقـ ذو التصرفـاتـ المفعـمةـ بالشـفـقـةـ بالـنـفـسـ يـدـعـيـ أنهـ يـعـرـفـهاـ.
هل يـعـرـفـهاـ حقـاـ؟

إن هذا السؤـالـ يـعـيـدـ إـلـيـهاـ اـضـطـرـابـهاـ. بـحـثـتـ عـيـنـاـهاـ عـنـ عـيـنـيـ هـذـاـ
الـرـجـلـ الـمـخـهـولـ،ـ شـعـرـتـ بـشـيءـ يـشـبـهـ الـخـدـرـ.ـ مـرـةـ آخـرـ يـشـرـدـ ذـهـنـهـاـ
وـهـيـ تـشـعـرـ فـيـ سـعـادـةـ.ـ بـأـنـهـاـ أـسـيـرـةـ هـذـاـ السـحـرـ.
وـبـسـرـعـةـ انـتـزـعـتـ نـظـرـهـاـ مـنـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ الـمـبـهـرـ ذـيـ الـمـلـامـعـ
الـدـقـيقـةـ الـمـتـنـاسـقةـ.

من الواضح أنها لم تقابلـهـ قـطـ.ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ كـانـتـ تـعـرـفـ
أنـهـ لـاـ يـكـذـبـ.ـ مـاـذـاـ إـذـنـ؟ـ

- أـنـتـ ذـاهـبـةـ إـلـىـ "ـبـامـيـارـيـ"ـ بـدـونـ شـكـ؟ـ
تلقتـ هـذـاـ السـؤـالـ فـيـ صـدـمـةـ.ـ إـنـهـ مـجـرـدـ أـمـامـهـ،ـ وـلـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ
تـخـفـيـ عـنـهـ شـيـئـاـ.ـ اـرـتـعـشـتـ عـنـدـمـاـ طـرـأـ عـلـىـ ذـهـنـهـاـ اـحـتـمـالـ أـنـ يـكـونـ

هـذـاـ الرـجـلـ سـاحـراـ مـنـ السـحـرـةـ الـدـيـنـ تـعـقـدـ فـيـهـمـ إـفـرـيقـياـ حـتـىـ الـآنـ.
مـنـ جـدـيدـ شـعـرـتـ "ـآـنـيـ"ـ بـأـهـمـيـةـ أـنـ يـصـدرـ عـنـهـاـ رـدـ قـعـدـ.
بـذـلـكـ جـهـداـ حـتـىـ نـهـاـ وـتـعـقـلـ الـأـمـورـ.ـ لـاـ،ـ لـاـ..ـ السـحـرـ الـحـقـيقـيـوـنــ إـذـاـ
كـانـ هـنـاكـ وـجـودـ لـهـمـ.ـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـوـاـ رـجـالـ فـرـنـسـيـيـنـ بـهـذـهـ
الـجـاذـبـيـةـ.ـ لـكـنـ كـيـفـ يـسـتـطـعـ هـذـاـ الرـجـلـ الشـيـطـانـ أـنـ يـعـرـفـ عـنـهـاـ
كـلـ شـيـءـ عنـ طـفـولـتـهـاـ الـتـيـ تـعـتـبـرـ سـرـاـ،ـ وـعـنـ وـجـهـةـ سـفـرـهـاـ؟ـ حـاـوـلـتـ
أـنـ تـجـدـ ذـكـرـيـ،ـ عـلـامـةـ.ـ فـتـشـتـ دـوـنـ أـمـلـ فـيـ ذـاـكـرـهـاـ وـلـكـنـ دـوـنـ
فـائـدـةـ.ـ مـتـاكـدـاـ مـنـ نـفـسـهـ تـرـكـهـاـ تـتـفـحـصـ وـجـهـهـ.

جـاءـ النـادـلـ فـيـ اللـحـظـةـ الـتـيـ اـسـطـاعـتـ فـيـهـاـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ مـوـجـةـ
الـمـشـاعـرـ الـمـتـضـارـيـةـ،ـ وـكـانـ أـخـيـرـاـ قـادـرـةـ عـلـىـ أـنـ تـطـلـبـ تـفـسـيـراـ.

قـالـتـ مـعـتـذـرـةـ:

- إـنـيـ..ـ إـنـيـ لـمـ أـخـتـرـ بـعـدـ.

- يـجـبـ أـنـ تـخـتـارـيـ يـاـ آـنـسـةـ.ـ إـنـ فـتـرـةـ التـوقـفـ فـيـ الرـحـلـةـ قـصـيـرـةـ
جـداـ.

مـبـتـسـمـاـ اـنـتـظـرـ الرـجـلـ إـجـابـتـهـاـ.ـ فـيـ الـوـقـتـ الـذـيـ طـلـبـ فـيـهـ مـنـ النـادـلـ
شـرـابـاـ،ـ نـهـضـ "ـجـانـ بـيـيرـ".ـ بـسـرـعـةـ عـادـ وـفـيـ يـدـهـ كـوبـ مـنـ الشـرـابـ.
جـلـسـ مـنـ جـدـيدـ بـالـتـلـقـائـيـ نـفـسـهـاـ وـأـخـرـجـ عـلـيـهـ السـجـاـنـ وـقـدـمـهـاـ لـهـاـ.
رـفـضـتـ بـإـشـارـةـ مـنـ رـأـسـهـاـ،ـ وـفـتـحـتـ فـمـهـاـ لـتـتـكـلـمـ وـلـكـنـ سـارـعـ وـقـالـ:

- هـيـاـ..ـ سـاقـوـلـ لـكـ كـلـ شـيـءـ.ـ وـالـدـكـ يـمـتـلـكـ أـكـبـرـ مـزارـعـ بـنـ فـيـ
"ـبـامـيـارـيـ".ـ إـنـهـ يـدـيرـهـاـ حـالـيـاـ مـعـ أـخـيـكـ "ـجـيـرـومـ".ـ

لـكـيـ تـنـتـهـيـ مـنـ لـعـبـةـ الـفـواـزـيـرـ هـذـهـ،ـ قـالـتـ وـقـدـ ضـاقـتـ مـنـ هـذـهـ
الـلـعـبـةـ:

- لكن في النهاية يا سيدتي من أنت ؟
ارتشف جرعة شراب وعيناه الحانيتان لم تتركاهما. ارتعشت "آني" ،
وادركت أن سحره بدأ يؤثر فيها من جديد. خفض صوته ومال
نحوها كأنه سيفضي إليها بسر :
- أعرف أنك تربت في "فرنسا" عند جدتك لأمك، ثم ذهبت
إلى المعهد الديني .

اتخذ وجهها فجأة مظهراً جاداً وغير نبرة صوته :
- لنكف عن اللعب إذن يا "آني" .. لن أخفي عليك أنني أسكن
أنا نفسي في "بامباري". لقد نشأت فيها مع أخيك "جيروم". أبي،
زعم الإقليم، بدون شك نحن أفضل أصدقاء.....

شعرت "آني" بالإحباط من هذه التفاصيل المملة. لقد كان السحر
أكثر تائيراً. لقد كان "جان بيير" حانياً دائماً وصوته عذباً.

- كان "جيروم" يحدثنى كثيراً عنك. أخته الصغيرة، تلك الفتاة
الصغيرة الضعيفة التي لا تحتمل جو الغابات الاستوائية الرطب. لقد
كان لك حضور كبير في ذلك البيت. كيف أقول لك ؟

ارتعشت "آني" مرة أخرى. إنها لم تعد تستطيع أن تخدع نفسها.
على الحائط بدا العقرب الكبير عصبياً كأنه لم يعد يتحمل أن يبقى
هذا الرأسان تحت عينيه، الواحد مائل إلى الآخر، والوقت يتوقف
عندهما.

- كان غيابك هناك ! إنه شيء غريب ولكنني لا أجد كلمات أخرى
أفضل من ذلك لكي أقول لك ما كنت أشعر به خلال هذا الوقت.
كان الحديث يدور حولك دائماً. أستطيع أن أراك في قطعة أثاث، أو

في إطار، تسقطين من كتاب آخره بتلقائية من المكتبة. كنت
تظهررين في كل وقت، وفي كل ركن كأنك حاضرة بجسدهك؛ لكي
ترشدينا نحو تلك الألبومات الكبيرة حيث تشكلين الموضوع
الأساسي لكل الصور. كنا نقضي ساعات لا تنقضي نتأملك في
إعجاب ... في كل مراحل عمرك ! لهذا السبب أعرفك جيداً.

تحت صوته الدافئ استطاعت أن تستشف اضطراباً عميقاً. وفي
شبه لذة حسية تركت نفسها تؤخذ في شبكة العواطف التي نسجها
حب المراهقة. لقد عاد السحر ليقلب أوراق الزمن. هل كان ذلك
 بالأمس، ومن خلال تلك الصور أن أحبهما أو أنه ... اليوم خلف تلك
الأوراق أثناء هذه الاستراحة بين رحلة طيران ورحلة أخرى ؟
- والدتك ...

ثم توقف في اضطراب، اغروقت عيناً "آني" بالدموع.
- أرجو المغفرة يا "آني". بدون شك لقد أحبيبتي جرحاً لم يتلهم
بعد.

- أنت ...

بحركة تم عن فهم وحنان وضع يده على يد الفتاة الشابة قائلاً :
- نعم .. كنت أعرف والدتك يا "آني". سيدة رائعة. لقد أسفت
عليها كثيراً.

شيء قوي جداً كان يدور حولها، يضم لمstemها بشدة. بالإضافة
إلى وجود تلك الرابطة بينهما ! إنها تستطيع أن تحدثه عن أمها ...
كيف تستطيع أن تصدق أن كل هذه السعادة من الممكن أن تكون
بين يديها؟ ... دهشة بل وفرزعة أغمضت وفتحت عينيها غير

انتظرت "آني" أن يستكمل عبارته ولكنه لم يفعل. لقد غابت نظرة "جان بيير" بعيداً، لأول مرة تلاحظ ضعفاً في من اعتقادت أنه صخرة صلبة. بدت السماء كأنها قد غامت فجأة. شعرت بشيء من خيبة الأمل.

متبعاً حبل أفكاره، استطرد "جان بيير":

- على أية حال لا أستطيع أن أبتعد عن "إفريقيا". بما آني مهندس معماري فإنه من الأسهل أن أستقر في "باريس" عن أن أستقر هنا. بدون شك إن "بامياري" صغيرة جداً... ولكن "إفريقيا".... انتهى من شرابة.

- يجب أن تتعزز في على "إفريقيا"؛ حتى تفهمي ما أشعر به. البعض يقولون إن حبها قدرى، وأنا أقول إنني واقع تحت سحرها. عادت علينا "جان بيير" إلى عيني "آني" دون أن يرى أنها كانت قلقة جداً. استطرد وهو لا يزال تحت تأثير عاطفته:

- سترين يا "آني" أن كل شيء ليس له حدود؛ الغابة البكر تلمس بضفافها نهرًا شاسعاً وقوياً. من هذه الأرض الخصبة الرطبة تنموا أشجار ضخمة، وألاف الأنواع من الزهور، هناك فيض دائم لشذى عطور متنوعة، وألوان، ومشاعر.

كانت تسمعه مرتبعة. لأول مرة بدأت تعرف حقيقة هذا البلد. إن عائلتها لم تحدثها قط بكل هذا الحماس والعاطفة عن هذه الأرض. من أجله، ومن خلاله شعرت "آني" أنها تحبها بالفعل.

يفضل موهبته في الرواية تحول قلب "إفريقيا" بسرعة إلى نوع من الجنة. مستحيل أن تقاوم سحر صوته الدافئ العذب نسيت إذن

محسنة. وماذا لو كان كل ذلك مجرد وهم؟ وماذا لو تبدل كل ذلك مثلما يتلاشى الحلم في اللحظة التي تفتح فيها العينان؟ وكأنه يحيي عن قلقها، ضغط "جان بيير" على يدها الصغيرة. الرقيقة كانه يبرم معها اتفاقاً عميقاً.

من جديد سيطرت عليها نظرته الحانية.

تصاعد إلى خدي الفتاة الشابة دفء غامض لم تشعر به من قبل فقط. بدون شك كانت تعرف أن سبب هذا الاضطراب هو لمسة يده ليدها، وهذا الاتفاق الذي يذهب بعيداً عن الكلمات ولكنها لم تكن تعرف فقط أنه بهذه القوة والعمق.

بطء... ببطء شديد ولكن بدون رحمة شعرت بأنها تتصهر. لقد فقد جسدها حدوده، وبدأ يهدد بأن يختلط بجسد "جان بيير" وكانت كانت تنتظر هذه اللحظة منذ الأزل.

سحبت يدها؛ لتكسر هذا السحر عمداً. ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة وكانها تعذر. تمنت واللحجل على جبينها:

- لقد... لقد كنت أحبها كثيراً.
- أنهم، عندما عرفتها...

جاء النادل ومعه ما طلبت من شراب. أضاء وجهها ابتسامة مشرقة. شربت "آني" جرعة طويلة من عصير البرتقال. جرعة رطبة تخفف من حفاف حلقاتها.

- لن أعناد أبداً على هذه الحرارة.
- لا، إني متأكد أنك ستحببن "بامياري". أنا أحلم بأن أستطيع أن أعمل بها. للأسف....

أشعل سيجارة في عصبية قبل أن يضيف:
إنه حتى أمر مستحبيل. في خطابه الأخير لم يترك لي أبي الكثير
من الأمل.

قالت بصوت مرتعش:

ـ لكن إذا كان ذلك مستحيلًا فماذا ستفعل إذن؟

ـ إيه حسن، ساعود إلى "باريس" حيث تسير أعمالى بشكل
جيد.

أدارت رأسها؛ حتى لا يرى عينيها التي لمعت فجأة، وملامع
وجهها التي بدا عليها الاضطراب. من حسن الحظ أن صوت المضيفة
العنبر جاء ليعلن:

ـ المسافرون على الرحلة رقم 824 في اتجاه "ندجامينا"، "بانجبي"،
"بوانس نوار" من فضلكم التوجه إلى الطائرة، أوصاني الكابتن
"بالديني" بالإشارة إلى أن ربع الصحراء قد ارتفع، وأن الحرارة
بالخارج هي 45 درجة.

أمسك "نجان بيبير" ذراع "آني" في تلقائية، وجذبها نحو الباب
وقال:

ـ لن يكون من مصلحتنا أن نتأخر.

الحرارة الخانقة في "نيامي"! ريش المروحة التي تضرب الهواء الساخن،
حركة التدفق المستمرة وهم يذهبون من طاولة إلى أخرى.

كانت تشعر بالظلم ولكنها بقيت ساكنة محلقة عند شفتيه.
كانت بجانبه في السيارة ذات الدفع الرباعي.

كانا يسيران بالسيارة على الكورنيش. لقد كان موسم المطر، وكان
الطريق لامعاً، وخطراً. باسفل كان هناك "أوبانجي شاري" ، فناء صفراء
ضخمة تتتدفق مياهها الموجلة حتى خط كبير من الصخور السوداء
تتكسر عليها.

وهي تشبه طفلاً منبهراً يكتشف عالمًا جديداً، كانت "آني" منبهة
بالدوامات التي تحيط بها جذوع أشجار سوداء كبيرة.

ـ بسرعة، بسرعة انظري يا "آني" تلك الذيول السمراء الساكنة
وسط الجمر الصاخب، هل ترينها؟ إنها تماسيع... آه! كم كنت أود
أن أكون بالقرب منها حتى أجعلك تكتشفين كل ذلك....

نزلت فجأة من فوق السحاب.

ـ لكن كيف؟ ألن تذهب إلى "بامباري" لتقابل والديك؟
عبس، وقطب جبينه. كان ذلك مثل يوم أحد مطر من الآحاد التي
كانت "آني" تكرهها. أصبحت لهجتها أكثر حدة:

ـ أود محاولة فتح مكتب هندسة في "بانجبي". إنها العاصمة، وهي
أقرب مدينة بالنسبة لـ "بامباري". أستطيع أن
أذهب إلى هناك في الإجازات، وحتى في عطلات نهاية الأسبوع.
أبي يعرف الكثير من الشخصيات في الإدارة وفي الحكومة ولكن
إنشاء مثل هذا المكتب لن يكون عملاً سهلاً.

الفصل الثاني

بان أحابـت:

ـ لست أعرف.

ـ دون أن يرفع بصره عنها غاص في مقعده. إنه متأثر بها بشدة.
ماذا بها إذن مختلف عن الآخريات؟ كل هؤلاء الآخريات، كل هؤلاء النساء اللائي يعشق إغواهن.

ـ هل كان ذلك بسبب حبه المستحيل لها عندما كان مراهقاً؟

ـ هل هو يراها الآن أم يرى الذكرى التي طالما حركت مشاعره؟
مضطربة لغرابة وشدة نظرة الرجل الشاب إليها أدارت وجهها،
ومالت نحو النافذة.

ـ ما عمرك يا آنـي؟

ـ قالت وقد عادت للنظر إليه في سخرية:
ـ هـا هي معلومـة لا تعرفـها عنـي.

ـ ربما كان عليه أن يجري بعض الحسابات ليعرف... ولكن فضلـ أن
يداعـبـها.

ـ سـبـعة عـشـر، ثـمـانـية عـشـر؟

ـ أكبرـ منـ ذـلـكـ.

ـ ربما الـضـعـفـ...

ـ رفعت كتفـيها ضـاحـكةـةـ. اـرـتـشـفـ جـرـعـةـ منـ الشـرابـ، وـعيـنـاهـ لاـ
ترـالـانـ غـارـقـتينـ فيـ عـينـيهـاـ ثـمـ قالـ:

ـ لنـكنـ جـادـينـ. لـيسـ منـ المـعـقـولـ أنـ يـكـونـ عـمـرـكـ أـكـثـرـ منـ عـشـرينـ
سـنةـ.

ـ لقدـ رـبـحـتـ.

ـ أـدـارـ الشـرابـ رـأسـهاـ قـلـيلاـ. وـضـعـتـ كـاسـهاـ الفـارـغـ عـلـىـ الصـيـنـيـةـ، وـلـمـ
تـسـتـطـعـ أـنـ تـمـنـعـ نـفـسـهـاـ مـنـ الضـحـكـ. لـقـدـ تـمـلـكـهـاـ شـيـءـ مـنـ الشـمـالـةـ،
وـنـسـيـتـ مـاـ يـشـغـلـ رـأسـهاـ قـلـيلاـ. تـحـتـ تـأـثـيرـ هـذـاـ الشـرابـ لمـ يـعـدـ
يـحـسـبـ لـدـيـهـاـ سـوـىـ اللـحـظـةـ الـتـيـ تـعـيـشـهاـ، وـكـانـ تـلـكـ اللـحـظـةـ هـيـ
لحـظـةـ سـعـادـةـ.

ـ جـالـسـةـ بـجـانـبـ "ـجـانـ بـبـيرـ"ـ مـسـتـسـلـمـةـ لـاـهـتـمـامـهـ وـحـنـانـهـ مـنـ وـقـتـ
لـآـخـرـ كـانـ أـصـابـعـهـماـ تـلـامـسـ، وـتـتـشـابـكـ يـدـاهـماـ.

ـ كـانـاـ فـرـحـينـ لـاـ يـشـغـلـهـمـاـ شـيـءـ وـالـطـائـرـةـ 707ـ تـسـبـعـ وـسـطـ سـمـاءـ
زـرـقاءـ صـافـيةـ.

ـ مـاـ فـائـدـةـ أـنـ تـعـكـرـ هـذـهـ السـمـاءـ بـأـيـ فـكـرـةـ سـوـدـاءـ؟

ـ صـبـ لـهـاـ "ـجـانـ بـبـيرـ"ـ كـاسـاـ أـخـرـيـ. قـالـتـ فـيـ دـلـالـ:

ـ لـاـ، لـاـ، لـسـتـ مـعـادـةـ.

ـ هـذـاـ سـبـبـ إـضـافـيـ يـاـ آـنـيـ؟ـ أـلـيـسـ ذـلـكـ يـوـمـاـ خـاصـاـ؟ـ

ـ رـفـعـ يـدـهـاـ إـلـىـ شـفـتـيـهـ، وـقـبـلـهـاـ فـيـ رـقـةـ. أـغـلـقـتـ "ـآـنـيـ"ـ عـيـنـيـهاـ؛
لـتـسـتـمـتـعـ بـهـذـاـ الشـعـورـ، وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ لـتـخـفـيـ شـدـةـ اـضـطـرـابـهـ.

ـ أـنـتـ تـحـبـ اللـهـوـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ....ـ لـوـ لـمـ تـكـنـ صـدـيقـ أـخـيـ
لـوـجـهـتـ إـلـيـكـ اللـوـمـ فـيـ اـسـتـغـلـالـكـ لـ....ـ

ـ اـقـتـرـبـ "ـجـانـ بـبـيرـ"ـ كـثـيرـاـ مـنـهـاـ قـائـلاـ:

ـ أـسـتـغـلـ مـاـذـاـ؟ـ

ـ كـانـتـ تـشـعـرـ بـأـرـبـاكـ شـدـيدـ حتـىـ أـنـهـاـ لـمـ تـرـدـ أـنـ تـسـتـرـسلـ. اـكـتـفتـ

ربطت الحزام ومالت نحو النافذة وفي رأسها فكرة واحدة:
بعد بعض دقائق لن ترى "جان بيير" قبل حتى أن تعرفه جيداً.
إن وصولها إلى "بانجي" الذي كان يجب أن يحمل لها سعادة كبيرة
للقائها بأسرتها سيفسدى بالتأكيد. كيف ستستطيع إذن أن تبتسم أو
أن تكون حاضرة؟

تشابكت أغصان الأشجار فبدت كأنها زبد أخضر كثيف ممتد
بضول الأمواج التي تشكلها المرتفعات.

همس "جان بيير":
ـ إنها الغابة البكر.

سمعته آنـي بالكاد. إنها مستغرقة في أفكارها، وهذه الطبيعة
الغريبة عنها تم أمام عينيها بسرعة. بعد قليل رأت الخطوط الحمراء
التي تشكلها الطرق، وبعد ذلك كانت القرية الأولى. يدخل
حضرتها ثقوب بنية. في ظلال الأشجار بيوت صغيرة يحيط بها
مساحة خالية، الأرض تقترب أكثر. بدأت نقاط سوداء تدور على
الطرق. بسرعة أدركت آنـي أنها شاحنات وسيارات. وأنفها
ملتصق بالنافذة بدأت عيناهَا تحدد الألوان، والأشكال. اتخذت
الطائرة منعطفاً كبيراً. وعندما استقامت اكتشفت آنـي "بانجي":
زهرة جميلة من المرجان وسط بحيرة خضراء، لم تستطع أن تمنع
نفسها من أن تهمس:
ـ انتهي الأمر.

لكنه لم يسمعها. إن هناك شيئاً الآن يفصل بينهما.
شيء ما يبدو أنه لا يعانيه.

قالت ذلك همساً ثم شربت كأسها حرجـة واحدة، وبدأ وجهها
المشرق يغيم بشكل تدريجي. أمسك "جان بيير" يدها وندم؛ لأنـه
صب لها كأساً آخرـى. ألم يكن مسؤولاً بطريقة أو باخـرى عن اختـ
صديقه العزيـز؟ هل كان من الواجب أن يتصرف معها كما يتصرف
مع الآخـريـات؟ مرت بوجهـه لحة أـسـفـةـ. لا حظـت آنـي ذلكـ.

ـ إنـي حـديـثـةـ السـنـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟

أـصـبـعـ صـوـتـهاـ ثـقـيلاـ، وـنـظـرـتـهاـ هـائـمـةـ. عـنـدـمـاـ أـمـسـكـ ذـقـتـهاـ بـينـ
إـيمـامـهـ وـسـبـابـتـهـ دـافـعاـ إـيـاـهـاـ لـلـنـظـرـ إـلـيـهـ لـاحـظـ اـسـتـعـادـاـهـ لـلـاسـتـسـلـامـ
لـوـجـةـ مـنـ الـبـكـاءـ.

قال في رفق:

ـ حـديـثـةـ السـنـ جـداـ، مـاـذاـ؟

نهضـتـ بـسـرـعـةـ، وـبـخـطـىـ مـتـرـدـدـةـ تـوـجـهـتـ نـحـوـ الـحـمـامـ. هـنـ "جانـ
بيـيرـ" رـاسـهـ مـفـكـراـ: حـديـثـةـ السـنـ! حـديـثـةـ السـنـ! يـالـهـاـ مـنـ فـكـرـةـ..
حـديـثـةـ السـنـ لـكـيـ تـشـرـبـ هـذـاـ الشـرـابـ بـدـوـنـ شـكـ!

وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ لـمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـبـتـسـمـ. لـقـدـ كـسـرـ سـحـرـ اللـحـظـةـ
هـرـوـبـ الفتـاةـ الشـابـةـ. مـنـ نـاحـيـهـ أـخـرىـ، لـقـدـ اـقـرـيـتـ الطـائـرـةـ مـنـ "بانـجيـ".

نظرـ إلىـ ساعـتهـ، بعدـ بـضـعـ دقـائقـ سـتـصلـ الطـائـرـةـ إـلـيـ مـقـصـدـهاـ.
فيـ هـذـهـ اللـحـظـةـ أـضـيـقـتـ اللـوـحـةـ التـيـ تـعـلـوـ بـابـ غـرـفـةـ الـقـيـادـةـ
وـالـمـكـتـوبـ عـلـيـهـاـ: "برـجـاءـ الـكـفـ عـنـ التـدـخـينـ، وـرـبـطـ الـأـحـرـمـ". عـادـتـ
آنـيـ شـاحـبـةـ، وـلـاـ تـرـالـ فـرـيـسـةـ لـلـاضـطـرـابـ. الـعـودـةـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ كـانـتـ
بـالـنـسـبةـ لـهـاـ أـيـضاـ أـمـرـاـ صـعـباـ.

وبالتسامتها المشرقة. لقد وصلت بالفعل إلى صالة المطار. تقدم شخصان. لاحظت أن والد "جان بيير" يشبهه بشكل كبير. وهو يضمها إلى صدره، مسح الأب العجوز "لاجرانج" دمعة سالت على خده وهو يقول:

- كم تغيرت!

ولى جانبهما تعلق "جيروم" و "جان بيير". ابتعد عنها والدها قليلاً، فاسع إليها أخوها "جيروم" ليعانقها. قالت:

- كم أنا سعيدة!

اعترتها موجة حنان واضطررت. كانت تشعر بصعوبة في أن تتحقق من أنها قد وصلت بالفعل، وأن سعادة اللقاء قد تفوقت على أي مشاعر أخرى. إنها تشعر بأنها بخير وهي بينهما. كان والدها كما هو لم يتغير. لقد كانت تراه دائماً هكذا: كبير ومحترم في قيمته ذي الشكل الصحراوي، والشورت، والجورب الذي يصل إلى أسفل الركبتين. سنوات عمره الستون لم تفلع في النيل من نشاطه الشديد، لم يصب الشباب شعره الأسمري، عيناه السوداوان المفعمة بالحيوية قد احتفظتا بشبابهما تنظران إلى كل شيء في فضول.

- المست متعب يا صغيرتي؟
- قليلاً ولكنني سعيدة جداً.

التفت نحو "جيروم". لقد أصبح أخوها "جيروم" رجلاً. قبلته بعد أن تأملت قامته الطويلة، ولون شعره. لقد كان أشقر، مثلها.... ومثل والدتها.

قهقهة الجميع. في حركة من الفخر تابط السيد "لاجرانج" ذراع

- إنها جميلة جداً، أليس كذلك؟ إنني متأكد أنك مستحبين هذا المكان.

لم توافتها الشجاعة أن تذكرة بأن هذا المكان هو "بانجي"، وأنها يجب أن تذهب إلى "بامياري"

من أعلى السلم وقد تملكتها شيء من عدم الارتياب، توقفت "أني". شعرت بحرارة رطبة. ضوء أبيض شديد أحيرها على أن تغلق وتفتح عينيها. لكن أكثر ما تأثرت به كانت الرائحة. إنها لم تستنشق فقط في الأرض والطبيعة هذا المزيج من العبير بمثيل هذه القوة. فرحة من جديد، أو ربما قد عادت إلى الحياة. شعرت بتحسن. استطاعت حتى أن تبتسم إلى "جان بيير" الذي كان ينتظراًها وقد نفذ صبره عند أسفل السلم. الشمس في ذروتها وليس هناك أي ظل. كل شيء كان ساخناً حتى لونه تحول إلى الأحمر أو الأبيض. نزلت السلم بخطى متربدة. مد "جان بيير" يده إليها.

قادها نحو البناء ذات الأسقف الحمراء الممتدة بالطول. خلف الأبواب الزجاجية الكبيرة رأت "أني" أناساً يلوحون. اعتنقت أنها تحت والدها. اعتبرتها فرحة طفولية طاغية. رفعت ذراعها، وأخذت تلوح له في جنون. لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تصرخ:

- إنه والدي.

حولت الفرحة وجنتيها إلى اللون الأحمر، وأضاء شعرها الأشقر الطويل بشرتها الذهبية. لقد كانت فاتنة في فستانها الأبيض القطني

ابنته.

- يالله من فنادق رائعة! نعم، ثمني دائماً أن تكون لي ابنة مثلها.
التفتت إلى "آني" قائلة:
- هل كانت رحلتك سعيدة؟
- رائعة يا سيدتي.
- آه لا! ادعيني "مونيك" ، نحن أسرة واحدة. أعتقد أنك لم تكوني مع "جان بيير" مصادفة.
عندما سمعت اسم "جان بيير" تسارعت دقات قلبها، التفتت سيدة "دوفرين" إلى اليسار وإلى اليمين وهي تقول في دهشة:
- أين ذهب هذا الولد؟
تدخل زوجها:
- لا تقولي إنك قلقة بشأنه. أنت تعرفين أنه لا يقاوم أي فتاة جميلة.
كان والد "آني" قد قاد ابنته بالفعل إلى باب الخروج. تقلصت معدة "آني" كأنها تلقت صدمة. استطاعت أن تخبس دموعاً صعدت إلى عينيها، ونححت حتى في رسم ابتسامة على شفتيها. إلى جوارها قال "جيروم" في عصبية:
- يجب رغم كل شيء العثور عليه. إني أعرفه... مالهم أضع يدي عليه الآن... لن أجده إلا بعد الظهر بوقت طويل. تماماً وقت تناول العصير.
ابتعدت "آني" وهي تشعر بالغثيان، ولا تستطيع أن تسمع أكثر من ذلك. لحق بها والدها وعندئذ صاح "جيروم":
- أذهبوا، سأتولى مهمة العثور على "جان بيير" ، وإعادته لكم إلى

- تعالى.. إني أرى عائلة "دوفرين". بما أنك سافرت مع "جان بيير" فأقدمك لأبويه.

كانت صالة المطار مكتظة، وفي كل مكان صيحات الفرحة باللقاء. بحشت "آني" عن "جان بيير" بعينيها ولكن يبدو أن الزحام قد ابتلعه، وشعرت بوخز في صدرها لفكرة أنها ستقابل أبويه. فضلاً عن أنه يجب أن يكون معهما.... سلك "جيروم" و "هنري" طريقهما بين الحشد يلقيان التحية إلى اليمين، ويصافحان من هم إلى اليسار. يبدو أن الجميع متعارفون بشكل جيد. شعرت "آني" بالغربة، ولم تعد تعرف إلى أين تنظر. وأخيراً وصلوا أمام أبوى "جان بيير". كان الآباء كباراً ومحترماً شعره رمادي إلى حد ما. أما الأم فقد رأت "آني" أنها باهرة.

صاحت وهي تأخذها بين ذراعيها:

- يا إلهي يا "هنري" ، هذه ابنتك!

قبلتها في حنان. صافحها والد "جان بيير" ولكن بحماس أقل.

- إني سعيد جداً يا "آني" منذ أن سمعتهم يتحدثون عن مجيك.

وأضاف ملتفتاً إلى "هنري لا جراج" :

- قل إذن أيها القرصان. لقد كنت تخبي في "فرنسا" لؤلؤة حقيقة!

قهقه الجميع. جذبتها السيدة "دوفرين" في أمومة من جديد، لتضمها إلى صدرها.

موضوع محدد. لكن لماذا اختفى بهذه الطريقة الغامضة. تذكرت كلمات السيد "دوفرين".

"جان بيير" زير نساء.

على الرغم من ذلك كانت فكرة أنها تستطيع أن تقضي وقتاً آخر مع "جان بيير" تجعل قلبها يثب من الفرحة. في هذه اللحظة لفت والدها انتباها:

- انتظري، هذه مدرسة "إيميل جانتي" حيث تعلم أخوك "جيروم".
فاقت "مونيك دوفرين": ملتفتة إليها ومبتسمة:
- مع "جان بيير". وكم من حماقات ارتكبها الاثنين لا يمكن حصرها.

ثم خاطبت زوجها:

- جاك .. إنك تقود السيارة بسرعة؛ فلا تستطيع "أني" أن ترى ساخر التي تمر عليها.

لكن كانت "أني" لا ت يريد أن ترى هذه المدينة التي ستأخذ "جان بيير" بينما هي ...
قال هاري:

- لا.. لا. دعيه يقود كما يريد. عشرة أيام كافية حتى تكتشف "أني" بالنجي تحت كل زواياها.
انقضت "أني" :

- لكن ألن نسافر إلى "بامياري"؟

رمت الآب "لا جرانج" كتفيها في حنان:

- لا ترين يا عزيزتي أنتا قرنا الاحتفال بعودتك؟

الفندق، اعتتقد أنتي أعرف أين هو. لقد رأيت "فيرونيك" تمر من هنا حالاً....

شعرت "أني" بغصة في حلقها، وتعلقت بذراع والدها. قال الآب وهو يضمها:

- لا مجال لهذا الشفقي "جان بيير" حتى يفسد خطتنا! لقد فرنا أن نحتفل بعودتك. سنتناول الغداء كلنا معاً في الفندق غير قادرة على النطق بكلمة واحدة اكتفت "أني" بآن شكرت والدها بقبيلة. في الحقيقة إنه لا يفهم مدى السعادة التي أيقظها في قلبها.

عند الخروج من الصالة المكيفة كانت الحرارة شديدة، وضوء الشمس مبهراً لا تستطيع العينان تحمله.

في اهتمام أعطاها والدها نظارة شمسية سوداء.
- بما أن "جيروم" قد بقي فسنركب مع آل "دوفرين".
أمام سيارة كاديلاك رائعة ببيضاء جلسا في المقعد الخلفي. بينما جلس آل "دوفرين" في الأمام. شعرت "أني" بتحسن في المقعد الجلدي الوثير. هل ستتوصل ذات يوم للسعود على هذا الطقس القاسي؟ كم تبدو لها كلمات "جان بيير" في "نيامي" بعيدة.
"جان بيير".

أغلقت عينيها؛ حتى ترکز تفكيرها. حاولت أن تسترجع صورته، صوته. ولكن كانوا يتحدثون كثيراً حولها. من المستحيل التركيز في

الفصل الثالث

كان الفندق الفاخر الذي وصلوا إليه عبارة عن مبني كبير له سقف من القرميد المتموج. في بداية هذا القرن كان المطعم الوحيد في المدينة، ولا يزال يحتفظ منذ هذا الوقت بهيئته الأنيقة، ديكوره الاستعماري، في الصالة الفسيحة ذات التوافذ وضعت أنياب فيل على قاعدة من الأبنوس بدت كأنها برميل من العاج. كان هناك جفاف يوحى بالعزلة في هذا البلد الذي تتميز فيه الحضرة بكثافتها. لم يكن هناك في هذه الصالة وردة واحدة ولا زرعة تصفي الدفء على الصالة الفسيحة الباردة.

على الطاولات الضخمة المصنوعة من خشب الأكاجو وضعت طفایات السجائر الصغيرة التي تحمل دعاية لبعض المنتجات، مما زاد الإحساس بالفراغ. كان يجب الذهاب إلى نهاية المطعم للشعور بأنك في مطعم. جمع طاولتين من تلك الطاولات الكبيرة مفرش ملون. وضعت أطباق بيضاء من الصيني، وأمام كل طبق زهرة الكركديه الكبيرة لتفرض اللون الأحمر.
دائماً الأحمر والأبيض.

كان غياب التوافق بين الألوان هو أول ما صدم "آتي".

إن كل شيء هنا صريح. البلد كالناس يبدو أنهم يجهلون توافق الألوان واللون الباهت. على الخواطط البيضاء بعض الصور ذات اللون البنفسجي تساير نفس القاعدة من عدم توافق الألوان. كان هذا الأمر يشعرها بعزلة كبيرة.

لقد منحنا أنفسنا عشرة أيام إجازة. سنقضيها هنا حيث لا يخلو المكان من التسلية. لا يوجد في "بامباري" سوى الحياة البرية، وكما أنها مجرد أن نصل إلى هناك يستحوذ علينا العمل. أما هنا فنستطيع أن تعطيلك كل وقتنا.

التفتت "مونيك" من جديد، وأضافت:
- وبما أنني أنا "وجاك" نريد أن نبقى مع "جان بيير" فلن نتركه.
تعلقت "آتي" برقبة والدها وهمست:
- آوه يا أبي! لو تعرف كم أنا سعيدة!
عشرة أيام في "بانجي"... يا لها من هدية رائعة لم تكن تتوقعها!
فجأة بدت لها الحياة في هذا المكان ممكنة.

التفتت نحو لاجراج العجوز:
- ما هذه الشائعات المنتشرة يا عزيزي "هنري"؟ يبدو أن مجموعة من الشوار ينتشرون الفتن في مزرعتك. لقد كانت لدينا بعض المشكلات هذا صحيح. ولكن من المبالغة الحديث عن الشوار.... لا أعتقد بصرامة أن الأزمة الصغيرة التي عبرناها لها علاقة بالوضع العام في البلاد.

- أود أن أكون متفاهمة مثلك. إني عائدة من رحلة سفاري في "فورو مبالا"، وهناك أيضاً لم تعد الأوضاع هادئة....

تدخل السيد "دوفرين". وكانت نبرته يشوبها بعض الغيظ:
- المشكلة هنا، أن الأمر قد تجاوز الحد. انتشرت المأساة في كل مكان. في الحقيقة، إن الوضع السياسي هو أكثر الأوضاع الخاضعة للتهديد. الجميع يشعرون بالضغط.
فكرت "آني": "يا له من استقبال". استدارت نحو "جيروم" وهمست:

- إذا حدث أي شيء في المزرعة فعدني بأن تخبرني. الآن وقد أصبحت معكما فإني حرية على أن نتقاسم كل شيء.
في دعابة رفع يده مقطعاً يأنه يسعل وأقسم. بعد بضع ثوانٍ عاد إلى "آني" انشغالها الأول.

لم تستطع المراوح الثلاث الكبيرة أن تلطف من هذا الهواء المتهب. كانت تشعر بحرارة كبيرة، ولا تشعر بالارتياح. إن مظهر المطعم لا يعجبها. إنها لا تحب هذا العراء، وهذه الحوائط البيضاء المدهونة بالجير. حتى المشرب المصنوع من خشب الأكاجو الذي

في اللحظة التي اتخذت لنفسها مقعداً، وهي شاردة بعض شيء، بين والدها و"مونيك دوفرين" ظهر "جيروم" و"جان". القبض قليلاً عندما رأتهما في رفق سيدة رائعة الجمال. قام "جان بيير" ب تقديم القادمة الجديدة.

جلس كلاماً بجانب الآخر في توافق تام من الإشارات والابتسamas مالت. "مونيك" نحو آذن "آني":

- ترين هنا أن الأمور تسير بشكل طيب جداً إني متأكدة أنك ستحببين الإقامة في هذا البلد.

انتزعت "آني" ابتسامة رغمما عنها. كم من الوقت ستضطر للتمثيل؟

اقترب السيد "دوفرين" من والدها، يبدو أن لديهما الكثير الذي يودان مناقشته. جاء "جيروم" ليجلس إلى جوارها. شعرت "آني" بالارتياح لهذا التغيير. لن تضطر لاحتمال أي محادثة. استفادت من هذا التنقل؛ لتلقى نظرة إلى جانب "فيرونيك". كانت تضع قبعة على رأسها، بشرتها سمراء، عينها حضراوان ولا معنان، لها ابتسامة متألقة. لقد كانت حقاً فتاة جميلة جداً مبتسمةً ومهتمةً بها للغاية، كان "جان بيير" يبدو كأنه قد وقع في أسرها، كما كان الحال مع "آني" منذ قليل في الطائرة، مما أثار انتباها أنها كانت تحمل سنواتها الخمس والثلاثين في سحر وثقة، بسرعة احتقرت الحديث:

- لقد أخبرني "جان بيير" بأنه يرغب في الاستقرار في "بانجي". في هذا الوضع الحالي يبدو هذا الأمر معقداً. هناك ثورة في البلد، يقال إن الجيش لم يعد آمناً....

فتاة عابرة.

لكن لم يكن هناك شيء يستطيع أن يزيل عنها قلقها، خيم عليها حزن ثقيل وغلقها بغيومه السوداء، دائماً في مثل هذه اللحظات تأتي الذكريات الحزينة، المير أنها صغيرة جداً في الطائرة؟ من الواضح أنها لا تساوي الكثير بجانب "فيرونيك"، هذه السمراء الرائعة الجمال كانت مزدحمة وواقة من نفسها بينما كانت هي خرقاء متربدة، كانت تتحدث بشقة النساء الناضجات الواثقات بأنفسهن، منذ أن جلسوا إلى الطاولة لم تتفوه آتني بكلمة واحدة، لقد انعزلت عن الحديث فيما عدا حديثها الجانبي مع "جيروم". لا، لم يكن هناك أي وجه مقارنة بينها، وبين هذه الزهرة البرية العنيفة، إنها لا تستطيع أن تبدو سوى تافهة، حمقاء، وصغيرة مثل الفاكهة الحامضة.

- أخبريني، هل هذا حب من أول نظرة؟

كان هناك لطف بالغ في صوت "جيروم".

- إني أخشى ذلك.

ابتسم إليها، وهمس ضاغطاً في لطف على يدها:

- الرجل قد يعجب بالكثير من النساء ولكن بشكل عابر حتى يقابل الحب الحقيقي.

وبدون توقف أضاف:

- يجب أن تأكلني قليلاً، تذوقي هذا الجموري، إني متأكد أنك لم تذوقي شيئاً لذيذاً مثل ذلك من قبل، لقد قطفت ثمار "الافوكادو" هذا الصباح، والجموري تم صيده من "إيديا" هذه الليلة.

اصطفت فوقه في فوضى الزجاجات والأكواب لا يعجبها، كانت تود أن تهرب من هذا الحديث الشقيل الذي تسترسل فيه "فيرونيك"، ولكن لم يكن هناك ركن تستطيع عيناه أن تذهب إليه وتستريح ولا يخلو من تلك اللوحات البشعة.

لم تكن تشعر بالجوع ولا بالعطش، لقد ذابت فرحتها وانهارت، نظرتها تذهب بدون توقف ورغمًا عنها نحو "جان بيير". ولكنه لم يكن يراها، هل كانت موجودة بالنسبة إليه؟ مبهوراً بالفتاة الجالسة إلى جواره كان يبذل قصارى جهده؛ حتى يجعل من جلوسها إلى جواره أمراً مسليناً.

اقرب "جيروم" من أذن أخيه وهمس:

- لا تحملقي إليه هكذا ولا لاحظ الجميع أنك مغزمه به.

فرزعت آتني.

وقالت له محاولة الهرب أن يهتم بأحواله ولكنه لم يقنع، كان من الأفضل في هذا الموقف التعم أن تتحذه صديقاً لها، وأن يكون لها شخص متواطي معها في هذا الشعور.

- هل هو كذلك مع كل النساء؟

هز "جيروم" رأسه:

- مع الجميلات فقط... هل أستنتاج من ذلك أنه غازلتك خلال الرحلة؟

أغمضت عينيها، وشعرت بعصبة في حلقها عندما تذكرت غمزه، وقال بصوت منخفض.

- أفهم ما تشعرين به ولكن لا عليك، الجميع يعرفونها هنا، إنها

لكي ترضيه تذوقت آني ضيقها، كان يضيق بيده ونكتبه... لم
تكن جائعة، في "إفريقيا" كما في أي مكان آخر أحزان الحب تفقد
الماء شهيته دائمًا.

رفعت عينيها من على طبقها فرأيت هذا المشهد الذي زاد من
حزنها: رأت يد "جان بيير" توضع كالغراشة على يد "فيرونيك" لم
توقف أكثر من جزء من الثانية. ولكن كانت هذه الحركة كافية لكي
تفتح في نفسها جرحًا. كانت تفضل الا ترى شيئاً ولا تعرف شيئاً.
تحقق فجأة لاي درجة كانت سعادتها بوجودها معه، وبلقاء أسرتها
قصيرة. تملّك قلبها شعور آخر. شعور مجھول ولكنها لم تجد مشقة
في تعريفه. أمام قدرها شعرت بأنها ضعيفة جداً ولا حول لها ولا
قدرة. ولكي يخرجها من الحالة التي استشعر بأنها قد استغرقت فيها
همس إليها "جيروم":

ـ إني متأكد من أنك ستتوافقين تماماً مع "مونيك".

ـ هذا صحيح.. لقد كانت "مونيك" تتمتع بالبساطة واللطف.
إضافات:

ـ لقد كانت صديقة حميمة لامي. من الممكن دائمًا الاعتماد
عليها بالإضافة إلى أنها صريحة، وفي هذا المكان تعتبر هذه الصفة
الحميدة نادرة للغاية.

أدانت "آني رأسها نحو "مونيك". لقد كان أخوها محققاً. إنها
تنكلم في حماس دون أن تُمْضِي كلماتها. رأتها جميلة. بل وجميلة
جداً، إن سنواتها الخمس والأربعين مرت عليها دون المساس بجماليها،
ووجهها مقعم بالشباب ومشرق، ويكتشف عن توازن عميق، بدأ

قوية وذكية. ولكن أكثر ما سحرك آني هو الشبه الذي بينها وبين
ـ "جان بيير". لقد كان لكلٍّهما الشعر البني الذهبي، والعيون الداكنة
الدافعة نفسها، الابتسامة المشتركة نفسها.

ـ الآب "لاجراغ" لم يعد يستطيع البقاء بعيداً عن ابنه الحبيب
فنهاش واقترب من ابنه، ووجدهما يتحدثان بصوت منخفض:

ـ أخبرني إذن يا "جيروم". آمني لا تكون قد كشفت عن برنامج
الاحتفال.

ـ بالتأكيد لا.

ـ لقد حمدت تدخل والدها. توقفت الأحاديث. والثفت الجميع
ـ نحو "آني" وبدأ أنهم يعرفون شيئاً لا تعرفه. شعرت بالاضطراب
ـ وتوردت. أحاطت "مونيك" كتفي "آني" بذراعها وضحكـت
ـ ضحكتها المتلاكة.

ـ آه.. طفلتي العزيزة، يا للسذاجة! أنا متأكدة أنك لا تعرفين ماذا
ـ قد يحدث في مثل هذه الليلة.

ـ ححظت عليناها الفاختنان، وهزت "آني" رأسها في بساطة أمام
ـ "مونيك" لا تعرف سوى أن تكون طفلة منبهرة، طفلة لم يكن لها أم
ـ بالشكل الفعلي.
ـ همسـت إليها السيدة "دو فرين".

ـ وإذا قلت لك: هل أحضرت ملابس السهرة معك؟" هل بذلك
ـ أكون قد وضعتك على الطريق؟
ـ انطلقوا الجالسون في الضحك.
ـ وعندما هدأت الأصوات قالت "فيرونيك":

قاطعه السيد دوفرين في حزم:

- خذ حذرك لقد أدار الشراب رأسك.

خفضت "آني" رأسها.

هذا صحيح. أرجو المعذرة.. لقد نسيت أن معنا طفلة.

شعرت "أني" بغصة في حلقها من شدة الألم الذي تسببت فيه تلك الملاحظة. إن الإشارة إلى سنهما كان بمثابة صفعة موجهة إليها. حتى لا تنهر أمام الجميع نهضت، وأظهر الآخرون أيضاً رغبتهم في مغادرة الطاولة. لم يكن لديها سوى رغبة واحدة: هي الهروب إلى حجرتها؛ حتى تكون بعفودها.

إنها لم تشعر قط بمثل هذا الشعور بالوحدة إلا عند موت والدتها. اختفت عن الجموعة. كانت تود أن تبعد كيلومترات عن هذا المكان؛ حتى تطمئن إلى أنها لن تراه مرة أخرى أبداً. إن إقامتها في "بانجي" - التي سعدت كثيراً عندما أخبرها والدها بها - يبدو أنها ستكون كالجحيم.

卷之三

التصفت "آني" بأنفها في الشيش الأخضر. لاحظت في تلقائي أن اللون الأخضر هو جزء من الألوان الخلية: الأسود، الأبيض، الأخضر، الأحمر.

تسبب الشمس المحرقة في أن خلت الشوارع من المارة ساعة
القيلولة: صحراء حارقة، ساعة القيلولة، طقس مقدس،
توقف إيجاري: الجميع... ينامون.

— ولكنها صغيرة جداً، هل تعتقدون أنها ليست فستان سهرة بالفعل؟

كادت "أني" أن تنفجر في الدموع لولا تدخلت "مونيك" فائلة:

- إيه حسن، لا عليك يا طفلتي سأهدي إليك فستان سهرة، وإذا كان هذا أول فستان سهرة تمتلكينه فهذا أمر طيب. في هذا المساء، في الخلف الذي يقام على شرفك ستكونين الأكثري جمالاً.

بقيمة "فيرونيك" دهشة، اتنبحن الأب "لاجرانج"، وغمز إليها جيروم". أما "جان بيير" فقد كان يواجه صعوبة في إشعال سigarته، إنها اللامعة.

- يا ولد، علبه ثقاب من فضلك.

توجهت "مونيك" بالحديث إلى آنني من جديد:

- بعد القليلة سأقودك إلى متجر صغير حيث سجد فيه أشياء ساحرة. لا تعتقد أن الموضة لا تأتي حتى هنا. فضلاً عن أنني أعتمد عليك في معرفة ما الذي يفعلونه في "باريس".

بصوت متخفض ولكنه مسموع من الآخرين أضافت:

- سأستمر هذه الجولة حتى أجدد دولابي أنا أيضاً.
كان "جان بيير" قد استعاد هدوءه. تأرجح على مقعده،
وارتسمت ابتسامة ساحرة على شفتيه.

- النساء لا يقاومن أبداً الفساتين... هذا معروف.
- نظر إلى "آني" التي اضطررت لمجرد هذه النظرية.
- على الرغم من ذلك فإن ما يشغلنا - سجن الرجال - هو تأمل تلك الفساتين...

معلقة بهذه الشخصية المهرة القوية الرشيقه كالنمر. ولكنه....
أخذ عن النمر أيضًا.... خواطره على الرغم من ذلك ماذا يساوي
خدش أو جرح أمام النظر إلى هذا الوجه الجميل وهاتين العينين
المتقدتين وهذا الجسد الأنثيق وهذه الحركة الرشيقه؟

ما قيمة الدموع أمام تأكدها من رؤيتها بشكل مستديم؟ ماذا
تساوي مشاعر الغيرة الصغيرة أمام سحر ابتسامته المشرقة؟

لقد كان "جان بيير" شخصًا غير عادي. كانت تعرف ذلك،
بحواره تشعر برغبتها في أن تكون أنتي، امرأة حقيقة. لم يستطع
أي رجل أن يشير في نفسها مثل هذا الشعور الذي يختلط فيه قمة
التطرق، خضوع نام، ورغبة في التغلب عليه. كانت الكلمات تدور
في رأسها المتعب بسرعة: الانتصار... الإغواء... الملابس.
الملابس... الخل. يجب أن تستعد لتلبية دعوة "مونيك". إن فكرة
لقاءها تشعرها بالاطمئنان. كما أن "مونيك" كانت إلى حد ما قريبة
من "جان بيير" ومن أجله ستكون جميلة في هذا الحفل.

فكرة الحرب انزعجتها من حزنها. همست إليها غريزتها. للبقاء:
انتفضي يا عزيزتي. نهضت وزفرت في عمق. وشيئاً فشيئاً ختحت
في أن تهدا. توقفت عن البكاء، عادت إلى الحمام، مسحت وجهها،
ووضعته تحت الماء البارد، وعندما لم يعد هناك أثر لنوية البكاء
شرعت في وضع أدوات الزينة.

لا يجب أن يعرف أحد مدى اليأس الذي كانت تشعر به.. خاصة
"مونيك".

كانت قد لبست فستانها تواً

تذكرت أنها عندما كانت صافية عند جدتها كانت تكره هذه
الساعة. في هذه اللحظة بالتحديد، كانت تشعر بالشعور نفسه:
الكراهية.

في حركة عصبية ابتعدت عن الشيش. دارت في الحجرة كأنها
تبعد عن جحود ثعبانين. كان الديكور فاحراً وسيطاً في الوقت
نفسه. دائمًا هذا الطراز الاستعماري. تصاعد إلى مسامعها شيء من
الصخب قادم من الصالة التي تركتها تواً.

ذهبت إلى الحمام. استرخي جسدها المتعب. ارتدت "كيمونو"
خفيفاً، وعادت إلى الحجرة. كل هذه الحركات ثقيلة. كانت تدور
كالحيوان الذي في القفص قبيل أن تنهار على السرير. وأخيراً
استسلمت للبكاء.

هل من الممكن أن يستطيع رجل - رجل واحد - أن يضعها في مثل
هذه الحالة؟ بالأمس فقط كانت لا تستطيع أن تتصور ذلك. كان
يكفي أن تقابله. لقد تعلقت كل حياتها به. تحت صورة "جان
بيير"، تحت حضور "جان بيير"، تحت سحر "جان بيير" كل شيء
كان لا أثر له، لم يعد هناك شيء. لا شيء... إلا اسمًا واحدًا يتعدد
بدون تعب:

"جان بيير" ... "جان بيير"

كان يشغل حجرة في الردهة. نفسها ماذا كان يفعل في هذه
اللحظة؟

هل كان مع "فيرونيك" أم كان يفكر فيها؟... لقد مر كل شيء
سريعاً بشكل لا يحتمله قبلها الصغير الرومانسي، فشعرت بأنها

عندما دق الباب.

قطبت آني حاجبيبها. ليس من الممكن أن تكون السيدة دوفرين.

وماذا لو كان هو ياله من أمل مجنون!

- من الطارق؟

- "جيروم".

لقد كان ذلك جميلاً! رما تكون "إفريقيا" ساحرة ولكن لا يجب الخلط بين السحر والمعجزة...، ذهبت لتفتح الباب لأخيها.

قال:

- هل كنت نائمة؟

رقت كتفيها. إن كراهية ساعة القيلولة كانت من الأشياء المشتركة النادرة بينهما.

- لا، لا. لقد استرخت قليلاً. أنت تعرف مدى صعوبة تغيير المناخ. لقد فاجأتهي في اللحظة التي خرجت فيها من الحمام.

- لهذا السبب تأخرت في فتح الباب.

كان قد جلس على طرف السرير.

- لقد رحلت بسرعة، ويداً أنت تأثرت بالكلمات... الشقيقة التي تفوه بها "جان بيير"؛ لهذا جئت لاطمئن عليك. لقد شعرت ببعض القلق.

أسرعت إليه، وأحاطت عنقه بذراعيها، وقبلته في حرارة.

- أنت حفناً رائع. معك أنت و"مونيك" أعرف أنني سأواجه هذا الموقف.

الفصل الرابع

وصلت "أني" ترابط ذراع والدها. لقد كان يرتدي البذلة السموكينج، وكانت هي ترتدي فستاناً على الطراز الإمبراطوري لونه أخضر فاتح. وعلى كتفيهما شال من اللون نفسه بدرجة أغمق. ورفعت شعرها في شينيون مرصع بورد أبيض ولؤلؤ دقيق. اجتمع في مظاهرها الأناقة والجمال مع رقة نادرة.

توقفت الموسيقى . صعدا الدرجات الثلاث المؤدية إلى التراس
وتويقا .

وفي حركة واحدة التفت الجميع، ليتأملوا أميرة هذا الحفل.
لقد كانت حفناً مفاجأة كبيرة أن يقام مثل هذا الحفل لـ "آني". إنها
لم يتصور قط أن تلقى كل هذا الاهتمام.

كانت الساعة العاشرة مساءً. كانت السماء مرصعة بالنجوم اللامعة، وبضياعها البدر تغطي الصالة الكبيرة في النادي. كانت هذه الصالة تشرف مباشرة على نهر ومرتفعات "زائير". مصابيح رائعة تعكس ضوءها الهادئ المهتز على مياه النهر.

التفت الطاولات حول ساحة الرقص .
تقديم نحوها السيد "دوفرين" بصفته رئيس المنطقة ، وانحنى في
كتامة :

- أهلاً بك في "إفريقيا" يا آنسة "لاجرانج".

ابتسمت متأثرة بكل هذه الحفاوة. إنها لم تستعد قط لمثل هذا الاستقبال الباهر. كل الرجال كان كل منهم يرتدي بدلة سمو كينج

- 42 -

بيضاء، والسيدات في ملابس السهرة.

سمعت هديراً من التصفيق، وقادها السيد "دوفرين" حتى طاولة الشرف: كانت طاولة مستطيلة عليها مفرش أبيض.

"مونيك" ، و "جيروم" ، و "جان بيير" ، وكل رجال السفارة الفرنسية كانوا قياماً.

همست "آني" في أذن والدها:
— هذا كثير.

- لا يا صغيرتي . إنهم ليسوا سوى مدعوين .

لم تستطع أن تصدقه، وهو الجميع بمصالحتها وتحيتها. شكرت الجميع بلطف وسعادة طبيعية.

جلس المدعوون، عادت الموسيقى للعزف من جديد للحن "فالس". افتتحت "آتي" ووالدها الرقص، وبقيا لحظات على ساحة الرقص بمفردهما. لقد كان "هنري لا جراغ" راقصاً بارعاً. وكانت "آتي" رشيقه وخفيفة لا عليها سوى أن تتباهي، وابتسمة عذبة تضيء وجهها الرقيق، وعينيها الزرقاويين اللامعتين بالسعادة، وزالت كل الصعوبات التي قابلتها في هذا اليوم في خلفها. كانت تشعر بأنها سعيدة. هدأ الليل من حرارة الجو حتى أصبحت أكثر احتمالاً بل وأصبح الجو جميلاً. كانت مثل ليلة صيف جميلة على شاطئ البحرين المتوسط.

في سعادة علقت بصرها على والدها... طويل محترم كان يبدو فخوراً وكريماً. على الرغم من أعوامه الخمسين كان يبدو شاباً جداً. لا يوجد في رأسه أي شعرة بيضاء، نظرته

الجمال، وبهذا الصدق. كانت تتحدث في هدوء وبحماس محسوب بعد جزءاً من شخصيتها، وعندما انتهت قرب أخوها كاسه من كاسها وقال:

- لا ينقصك سوى مقابلة أمير أحلامك.

بشكل تلقائي أدارت رأسها نحو "جان بيير". انحنى، وضحك الجميع. عضت "آني" شفتها وقد أدركت أنها قد كشف أمرها ولكن بعد فوات الأوان. تقدم "جان بيير" في خطوات فخور. لقد كان رائعاً في هذه الملابس البيضاء.

- اسمحي لي يا "آني" أن أشرب نخب سعادتك. وعيته في عينيها ارتشافاً كاسهما. لم تستطع "آني" أن تلاحظ القلق الذي بدا على وجهي والدها وأخيها. "مونيك" التي لا يخفى عليها شيء ثقت طريقها في لطف نحو "هنري لاجراغ".

- دع هؤلاء الأطفال يسعدون بوقتهم. لا يوجد ما هو أقل أهمية وجودية من حفل راقص . . .

- إني أعرف ابنك جيداً.

- أنا أيضاً، لهذا السبب أطلب منك الا تقلق أبداً.

- آني ساذجة تماماً.

- لكنها ذكية جداً حتى لا تدع نفسها لتقع بين ذراعيه، وإذا حدث يمكنك الاعتماد عليّ.

بعيداً عن هذا الحديث الذي دار بشأنهما تعلق "جان بيير" و"آني" وسط المرقص تحملهما الموسيقى الهادئة. ارتعشت وهو يضمها إليه. شعرت بذراعيه القويتين يحبسانها. أخذ قلبها يدق في جنون.

معبرة ومنقعة بالحيوية، وتلمع بالملوك. شعرت برغبة في أن تقول له أشياء كثيرة ولكن كانت الكلمات عاجزة عن التعبير عن مشاعرها. لابد أنه دفع ثروة في هذا الحفل.

مال السيد "لاجراغ" نحو ابنته:

- إني أنتظر هذا اليوم منذ وقت طوبل! أتمنى أن يسعدك ذلك.
تمتنع:

- أوه يا أبي!

- لا شيء يغلو عليك.

لم تعد تسمع سوى صوت قلبها. توقفت عن الرقص، وارتقت على أطراف أصابعها، وقبلت خديه في حب. تأثر الحضور بهذه الحركة التلقائية التي تعبر عن حب حقيقي. ارتفع هدير التصفيق من جديد. حياهم السيد "لاجراغ" وعاد إلى الرقص مع ابنته. بدأت الأزواج تقدم نحو ساحة الرقص.

وبعدات السهرة.

توقفت موسيقى الفالس، وعاد الراقصون إلى أماكنهم. في نشاط وانتباه حمل النادل الشراب.

رفعت "آني" كاسها. اقترب منها "جيروم" وهمس إليها:
إنهم ينتظرون منك كلمة قصيرة.

كانت تتوقع ذلك. قالت:

- أشعر كأنني أعيش قصة خيالية. لقد كنت بالأمس طالبة صغيرة، شيء مثل "سندريللا" . . .

تحدثت في بساطة مدهشة، وتأثير الجميع عند رؤيتها بهذا

مال

- لست الرجل الذي تستحقينه يا "آني".
- تبىست ونظرت إليه بعينيها الصافية.
- كيف تستطيع أن تعرف؟
- ود أن يروي لها حياته، ومقاماته العاطفية. ولكن لم تواته شجاعته.
- توقفت الموسيقى. ونفرقا فاحدثت هذه الفرقة جرحاً مؤلماً لكليهما. وعلى الفور بدأت نغمات "التابغو". دعا "جيروم" أخته للرقص. عادت إلى "آني" خفتها، وعدم اكتراثها.
- أخذت تضحك.
- عاد "جان بيير" ليجلس إلى الطاولة حزيناً ومحضاً.
- بجانبه كان والده و "هنري لا جرانج" يتحدثان بصوت خافت. مال حتى يسمعهما.
- لست أدرى تماماً كيف ستواجه ذلك.
- الموقف واحد تقريراً في كل الأنهاء، وعلى الرغم من ذلك كل شيء يشير إلى أن الأمر غير منظم.
- سأله "جان بيير":
- ماذا يحدث؟
- قطب والد "آني" حاجبيه وقال:
- لقد تلقيت تواً أخباراً سيئة، أرسل لي رئيس العمل رسالة: ثلاثة من الموظفين يشرون الشعب في مزرعتي.
- هل الأمر خطير؟
- الآن ليس كذلك، ولكني مضطر لاختصار إقامتنا في "بانجي".

أريدك أن تمنحيني كل الرقصات.

رفعت نحوه نظرة صافية. شعرت بأن كل الحواجز التي بينهما قد سقطت، واستطاعت أخيراً أن تبوح بما كان يخنقها منذ الغداء.

- ألم تعد تشغلي بالجملة "فيرونيك"؟

تحمّلت نظرة "جان بيير" الداكنة. ثم قال:

- إنها لم تعد تهمني.

شعرت "آني" بالاختناق لهذه الإجابة. همت بالإجابة، ولكنه بادرها قائلاً:

- إنني لم أكن قط مهتماً بها. لقد كنت أتظاهر بذلك.

غلفها سحر وابتسامة "جان بيير" من جديد.

- لماذا؟

- لكي أجعلك تغاري، هذا أمر طبيعي.

غاصت "آني" بين ذراعيه، وهما تضمانها في رفق.

- هل كنت محقاً يا "آني"؟

- لا. لا يجب أن تلعب هذه اللعبة.

كان ذلك دور "جان بيير" ليشعر بتأثير. إنه لم يقابل فقط فتاة شابة مماثلة، تلقائية ورومانسية. تحت رصانتها تكمن عاطفة متقدمة. الحب بالنسبة لها أمر جاد، فريد.

في لحظة خشي أن يضر بها وأن يؤذني تلك المشاعر النبيلة، ولكن كانت رغبته في مغازلتها أكبر. رفع وجهها نحوه ونظر إلى شفتيها الورديتين. مال نحوها ولكنه تراجع بدافع من الأمانة وهمس:

ـ أني أشعر بالأسف لـ "آني" ... هل ستعجبها حياة العابه؟
قال والد "جان بيير":

ـ ربما نستطيع أن نقتها معنا.
ـ هر "هنري لا جراغ" رأسه:

ـ أخشى الشائعات، وكذلك لا أريد أن انفصل عنها على الرغم من أن ذلك قد يبدو من الأنانية.

قال "جان بيير":
ـ هذا أمر طبيعي.

لقد فهم الترامات هذا الأب الطيب، وحجم ما قد تلقته عليه الشائعات من ألم في هذا المجتمع الأوروبي الصغير. مستطلق الالسنة بسرعة؛ لكنه تحدث عن ارتباطات غامضة.

قال "لا جراغ":
ـ دعونا لا نتحدث عن تلك الليلة. لا أريد أن أتسبب في حزن آني.

وبشكل مثير للدهشة شعر "جان بيير" بالارتياح لأضطرار أسرة "لا جراغ" لمعادرة "يانجي". نادي النادل، وطلب شرابا. هذا الفراق سيبسيط الأمور... البعيد عن العين بعيد عن القلب. تجتمع كائنة جرعة واحدة، ودعا والدته للرقص.

قالت له على الفور:

ـ لا تبدو على ما يرام.

ـ على العكس.. إني بخير تماماً.

نظرت إليه "مونيك" في شك:

ـ هذه الصغيرة "آني" تدق في رأسك.
ـ سترحل غداً إلى "بامباري".
ـ حسن.
ـ كنت أعتقد أنك تحببها.
ـ إبني أعيشها، ولكنني أكون صريحة معك سأرحل معها إذا كان ذلك ممكناً.

ادرك "جان بيير" الذي يعرف والدته جيداً أنها لن تتردد في الدفع عن "آني" إذا تمادي معها، وذهب بعيداً.

توقفت الموسيقى، وتعالت الضحكات. كان الحفل في أوجه، الجميع يمرحون. لم يكن لدى "آني" الوقت للعودة إلى الطاولة. ناداها "جان بيير" في لطف:

ـ هل تسمحين لي بهذه الرقصة يا آنستي؟!
ـ ابتسمت ابتسامة مشرقة:

ـ هل حجزت؟
ـ ضحك "جان بيير":

ـ نعم يا آنستي! لهذه السهرة وكل الأيام المقبلة.
في الليل المقرن ارتفعت شمس الجنة. مرتعشة تركت "آني" نفسها لتقودها خطواته.

سألت في قلق:
ـ ماذا يحدث؟

الفصل السادس

كان منزل "هنري لاجراح" المنبي على ربوة على بعد كيلومترتين من المزرعة ذات طراز استعماري بحث. سقف منخفض، أبواب زجاجية كبيرة تشرف على شرفة، لا توجد نوافذ زجاجية ولكن شيش يحلب في الحجرات الفسيحة تيار هواء مستمراً. كانت المزرعة ممتدة على مساحة المئات من الهكتارات:

غابة، نهر، وحقول. حول المنزل حدائق تطلها أشجار المانجو الضخمة، وأشجار التخليل العالية جداً، لها جذوع من الألياف في الأرضية نمت وزهور وورد بشكل متناسق بين الأنたس. الأرض الحمراء الجافة نشرت غبارها الرقيق على كل الأوراق. يتم رى وغسيل تلك الأوراق كل مساء، ولكنها في هذا الفصل من السنة تستعيد الغبار الأحمر منذ الساعة العاشرة صباحاً.

وعلى العكس، كانت الزراعة هناك - بعيدة عن طريق مرور السيارات - خضراء كأنها حائط من الحضرة الكثيفة اللامعة. هذا الحائط كان يضع حدود الغابة البكر.

كانت الشرفة تدور حول المنزل يزيّنها نباتات تتدلى منها زهور بنفسجية اللون. كان هذا المنظر جميلاً ومثيراً للشجن في نفس الوقت. كانت الشمس حامية ترسل أشعتها التي تبهر العيون.

كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً تقريباً عندما توقفت السيارة اللاندروفر أمام سحابة من الغبار. نزلت منها "آني" وهي تشعر بالإجهاد من شدة الحرارة، ومن الرحلة. يقودها والدها وأخوها

كان صوت والدها جاداً:

- آسف حقاً يا "آني" لأنني أوقظك بهذا الشكل المزعج، ولكن هناك حرائق في المزرعة، ونحن مضطرون لاختصار إقامتنا في "بانخي".

هزت رأسها وهي تعتقد أنها تعيش كابوساً ستفيق منه.
قال والدها:

- أسرعني يا عزيزتي، السائق ينتظرنا.

دهشة نهضت "آني"؛ لكي تستمد الشجاعة. تعلقت بفكرة أن عائلة "دوفرين" لا بد أنهم سيرحلون معهم. وبمجرد أن جلست في السيارة اللاندروفر عرفت الخبر الحزين. وفي هذه المرة لن يكون هناك مفاجآت سعيدة.

سيبقى "جان بيير" في "بانخي".
كان أمامه مائة كيلومتر من الغابات الخانقة، والقرميد الموج، والغبار حتى يصل ليواجه مثل هذا الموقف الصعب.

دخلت المنزل الذي تغرقه أشعة الشمس الحارقة. كانها تنزل عليه بشكل رأسى في هذه الساعة، وبدون ظلال يعرف المرء أن خط الاستواء ليس بعيداً. خلف الشيش المنسدل كانت المراوح تحرك الهواء البارد نسبياً عن الهواء في الخارج. كانت الطاولة معدة. عليها مفرش أبيض مطرز بقطن ملون، وعلىه زهور حمراء. كان مدير المنزل واقفاً في ملابس الاحتفال ينتظرهم في المقدمة، ويداه خلف ظهره.

- صباح الخير يا "أندرية". أقدم لك ابنتي الآنسة "آني".

أشرق وجه "أندرية" الأسم الداكن بابتسامة عريضة.

- لقد التقى سيدي أخيراً بطفلته. إبني سعيد حقاً لذلك.

ربت "هنري" كفه في ود.

- شكرأ يا "أندرية". قل لي هل أخبرت آل "كومتي"؟

- نعم يا سيدي.

بعد أن أخذت دشًا واستبدلت ملابسها عادت "آني" إلى غرفة المعيشة، وعياتها مفعمة بالحيوية. نهض السيد "كومتي" ليصافحها في حرارة:

- سعيد جداً بلقائك. لقد كنت صغيرة جداً عندما شاهدتوك آخر مرة! لم أكن قط لا تعرف عليك.

في خفة فكرت "آني" في "جان بيير" الذي تعرف عليها في المطار في "نيامي" من بين الجميع. ولكن لم تسمح لها السيدة "كومتي" أن تفكك في ذلك طويلاً. لقد كانت السيدة "كومتي" بدينة وطويلة وكانت تحمل على وجهها مرحًا وصراحة لا مثيل لهما.

- يا إلهي كم تشبه والدتها!

لهجتها التي تشبه لهجتها مسكن مارسيليا جعلتها تبدو وودداً، وفظة في الوقت نفسه. قبلتها بحرارة. ثم وضع يديها في وسطها وتأملتها قائلة:

- يا إلهي.. ما هي هذه الطفلة الجميلة... إنها لؤلؤة حقيقة. ستجعلين الرجال يصابون بالجنون أيتها المسكينة. قبلتها من جديد.

- لا يمكن أن تتعذكري. لقد كنت أحملتك وأنت طفلة. آه.. يا إلهي كم كنت لطيفة ورقية..!

إنه أمر معروف حتماً أن "كومتي" ثراثة بشكل لا يمكن تصويبه. لقد وجد "هنري" كل المشقة في مقاطعتها؛ لكي يدعوه للذهاب إلى الطاولة.

بدأ القلق على "لاجرانج" الأب والابن.

استرسلت "مارجو" في الحديث دون أن يستطيع أحد أن يوقفها. لم يكن أمامهم سوى الاستماع إليها حتى تناول الحلوي. توجهوا إلى الصالون. قدم "أندرية" القهوة.

قال الأب "لاجرانج" وهو يضع قدح القهوة فارغاً على الصينية:
- حسن. هيا بنا.

نظرت "آني" إليه في دهشة. فكرت في أن القليلة أمر إيجاري في إفريقيا.

- إننا مضطران للذهاب إلى المزرعة.
- سأذهب معكم.

- لا يمكن يا "آني". ستبقين مع "مارجو".

- هذه هي المرة الأولى التي نواجه فيها مثل هذه المشكلة. يا إلهي .
 لكن ستعود الأمور إلى مجريها إن شاء الله .
 التفت ونظرت إلى "مارجو". لقد كانت لطيفة جداً حقاً .
 - أرجوك اشرح لي .
 اندفعت "آني" نحوها وسقطت على ركبتيها وأمسكت يديها .
 - لم أقطع سبعة آلاف ميل لا جد نفسي في موقف طفلة يخونون
 عنها كل شيء .
 انفطر قلب الطيبة "مارجو" .
 - اسمعي يا طفلي .. الامر معقد . لكن تفهمي يجب أن تعرفي
 عقلية السكان الأصليين .
 - إبني لا اطلب سوى أن أعرف .
 فكترت "مارجو" لحظة . ثم استطردت بصوتها العذبة :
 - حسن . سأحاول أن أشرح لك . لكن في البداية اجلس على
 المقهى الكبير تحت المروحة . لا أريدك أن تصابي بالجفاف .. يا إلهي
 لم يكن ينقصنا سوى ذلك .

جلست "آني" . دفعت "مارجو" مقعدها ، وجلست إلى جانبها .
 أشعلت سيجارة .

- لقد عشت خمساً وثلاثين سنة في "إفريقيا" ، ترين إذن يا
 طفلتي أنني أعرف عنها مالاً يأس به . في البداية هنا لم يكن هناك
 كهرباء ، والماء نادر ، كنا نعيش حياة صعبة ... إبني آسفه على هذا
 الوقت . لقد كنا مجموعة صغيرة من الفرنسيين ولكننا كنا متعاونين .
 بدا في عيني "مارجو" الداكنتين الحنين إلى هذه الفترة الماضية .

- أوه .. لقد أردت أن أرى
 قاطعها والدها في حزم :

- مستحيل أن تاتي الآن .

كانت نبرته قاطعة . اغزورقت عيناً "آني" بالدموع . تطوع السيد
 "كومتي" بأن يفسر لها الموقف .

- لا أحد يعرف ماذا أصاب العمال . إنهم ثائرون جداً .
 أوقفه "هنري" عن الحديث ونهض قائلاً :

- لا أعتقد أن هذه القصة تهم "آني" .
 ليس "جيروم" جورياً طويلاً من القطن وحذاء ضخماً . وضع الرجال
 الثلاثة القبيعات على رءوسهم ، وخرجوا بدون أي كلمة .

- ماذا يحدث ?

طمأنتها ابتسامة "مارجو" المرحة قليلاً .

- لقد سمعت والدك . إنه لا يريدك أن تعرفي .
 قالت "آني" :

- هذا أمر مثير للدهشة . لقد وعدني بإجازة خمسة عشر يوماً في
 "بانجي" ، وفي اليوم التالي لوصولي عادوا إلى هنا دون أن يقدم لي
 أحد تفسيراً لذلك . وعجرد أن وصلنا إلى هنا يتركانني ... على
 الرغم من أن "جيروم" قد أقسم لي ...

- أهدئي يا صغيرتي . إن والدك لا يريد إزعاجك . ياله من
 مسكون .

نهضت "آني" وتقدمت بضع خطوات في غرفة المعيشة وهي تشعر
 بغضب عميق .

بدت مارجوًّا وكأنها تفضي إليها بسر خطير، وهي تنظر إلى
ـ آني" بعينين متسعتين.

ـ وما معنى ذلك؟

ـ يا إلهي! ألا تفهمين يا آني؟ السكان الأصليون لهذا البلد
متظيرون، ويؤمنون بالسحر. والعين الحسود لعنة وهذا يعني أن هناك
أمراً مشئوماً....

ـ نحن لستنا في الزمن الذي يؤمن فيه الناس أمراً بالخرافات.
عقدت "مارجوًّا" أصابعها.

ـ لا بالتأكيد، ونحن لا نؤمن بهذا الهراء ولكنهم يؤمنون.
حركت يدها في الهواء ثم استطردت:

ـ يا إلهي... كم هذا خطير. إنهم قادرون على ترك منازلهم،
وقرابهم، وأموالهم؛ لاعتقادهم بأن هذا المكان قد أصيب بالشّؤم.

ـ هل رحلوا بالفعل؟

هزت "مارجوًّا" رأسها بالنفي.

ـ إنهم لا يعرفون شيئاً بعد. ولكن إذا أخبرهم الكاهن الكبير
 بذلك..

زفرت "مارجوًّا" واستطردت:

ـ إني أفضل ألا أفكر في ذلك.

بقيت لحظة طويلة متأثرة بهذه الفكرة. ثم بعد برهة تغلب عليها

الأمل وقالت:

ـ سيرتب والدك كل شيء.

ـ هل ذهب إلى الكاهن الكبير؟

ـ اليوم جاء قادمون جدد.. شباب من البيض القدرين الذين لهم
أفكار متطرفة. إنهم يعاملوننا على أنها مستعمرون.. تباً لهم! إنهم
ليسوا هم الذين جاءوا في البداية ليعيشوا مع المتوجهين. إنهم
يعيشون برعوس بعض الزنوج.

استمعت آني" باهتمام، وهي لاتفهم جيداً هذا الحديث الذي
يتحلل الكثير من عبارات التعجب. استنشقت "مارجوًّا" سيجارتها.

ـ هناك البعض الذين بدأوا في التسبب في إزعاجنا. رعوس عنيدة
كما يقول "كومتي".

توقفت. اعتقدت آني" أنها ستستطرد ولكنها لم تفعل.
استغرقت "مارجوًّا" في تأمل داخلي. سالت آني":

ـ ماذا يفعلون؟

ـ يا إلهي... إنهم يقفون وسط العمال ويحرضون الآخرين،
فيتوقفون بدورهم. بالأمس أمضى كل العمال يومهم في إضراب.

قالت آني":

ـ هل هذا هو كل شيء؟

ـ نعم. هذا كل شيء ولكن الأمر خطير. في البداية لم يكن علينا
سوى الصراخ بصوت عال، أما الآن فإن علينا التفاوض مع رئيس
القرية أو الكاهن الأكبر وكذلك... .

ـ ماذا؟

ـ هل تعرفين ماذا أجاب بالأمس الكاهن الأكبر؟

ـ لا في الحقيقة.

ـ إن المزرعة قد أصيبت باللعنة.

انتفضت آني "عندما سمعت هذا الاسم ونعت عينيه".

- لماذا "دوفرين"؟

- إنه رئيس المنطقة، والزوج يعتبرونه أعلى من رئيس الجمهورية نفسه. إنه في إجازة. ولن يسعده أن يقطعها ويأتي إلى هنا.

- ليس عندما يكون واحد من عائلة "لاجرانج" في ضيق.

كانت "مارجو" متاكدة من ذلك. إنه الشيء المؤكد الوحيد في هذا الموقف الصعب.

مصالح البعض عند البعض فوائد. هذه المشكلات قد تسوق عائلة "دوفرين" إلى هنا. سيعود إليها "جان بيير" إذن. وبسرعة تحققت آني من أنايتها، وشعرت بالأسف لذلك. لاحظت "مارجو" الحزن الذي بدا على وجهها الجميل وأرادت أن تواسيها: - لا فائدة من الاستسلام للحزن قبل الأوان. هيا يا صغيرتي، سترتاح ساعة القليلة وبعد ذلك سنذهب لنشرذة. سأصطحبك إلى الخليج وسترين أنه مكان ساحر.

- يا إلهي... هل تريدينه يذهب ليقطف عيش الغراب؟

- الكاهن الكبير ساحر أليس كذلك؟

- إلى حد ما نعم. إنه قوي. ذات يوم كان هناك حريق كبير يهدد زراعات البن. وقد جاء... .

ولكي تضفي على حديثها الحموية نهضت، وأفرنت الكلمات بالحركات.

- رسم دائرة على الأرض. جلس فيها، وأخذ يتلو بعض الكلمات. وجثا على ركبتيه هكذا.

وركباتها على الأرض تظاهرت "مارجو" بأنها تلتقط شيئاً.

- أخذ حفنة من الأرض والقى بها في اتجاه النار
نهضت "مارجو"، وأضافت:

- صدقيني إذا أردت، لقد حمدت النار خلال ثوانٍ.

انتصبت آني دهشة:

- هل والدي مع ذلك الرجل الآن؟!

توجهت "مارجو" نحوها، وأمسكت يدها، ونظرت إليها بعينين مقنعتين، وقالت لها مواسية:

- لا تخافي شيئاً. إنه يعرف كيف يفرض احترامه على الآخرين.

أرادت "مارجو" أن تقنعها. لم تستطع أن تسيطر على رعشة صوتها. خلال الخمس والثلاثين سنة التي قضتها في إفريقيا لم يواجهوا مثل هذا الموقف. عادت وجلست في مقعدها وأضافت:

- مازلنا نستطيع استدعاء "دوفرين" مالم نصل إلى تهدئة الأوضاع.

الفصل السادس

في الغابة ولا يضهران إلا في أوقات الوجبات.

كانت الساعة الخامسة مساءً، هذا الوقت من النهار الذي يهدأ فيه كل شيء. كانت في الشرفة ممددة على المقهود الطويل. ذهنها خالٍ وجسدها مسترخٍ. تتأمل أوراق الشجر الحضراء. بعيداً قليلاً في الخلف كانت الغابة البكر. القرود في صخب تصدر صيحات، وتغفر من فرع إلى آخر.

بدأت تتعود ذلك. وعلى الرغم من ذلك شعرت بخوف شديد عندما سمعت زئير أسد، وقاومت رغبتها في أن تدخل إلى داخل المنزل.

وعلى الفور بدأت العصافير في التغريد. إن الغروب يقترب مخرجاً الطبيعة من بلادتها. لقد أنهكت الشمس كل شيء. تصاعد عبير الزهور، وملا الجو، وجعله جميلاً. كان الشذى أقوى من أي مكان آخر. كل تلك العطور القوية تصيب الإنسان بالدوخة.

كانت الساعة التي استطاعت "آني" أخيراً أن تشعر فيها بالراحة من شدة الحرارة، وبدأت تنبهر بهذا البلد. جمعت شعرها الطويل في ضفيرة، وجهها نضر، وجسدها مسترخ في فستان أحمر واسع. بعد أن سمعت أصوات الغابة واستنشقت هذا المزيج من العطور لم تستطع أن تنجذب تلك اللحظة التي عادت فيها أفكارها إلى ما يشير قلقها. لم يكتب "جان بيير". إنه حتى لم يصدر عنه أي إشارة تقول إنه على قيد الحياة، ولا حتى رسالة، ولا حتى مكالمة تليفونية، وهذا هو اليوم الثالث من الانتظار الذي أحيا كل مخاوفها.

كان قد نسيها. تصورته يستمتع بوقته في "بانجي". يذهب

مضت ثلاثة أيام "آني" في "بامياري". كانت قد بدأت تناقلم، لكن كان من المستحيل أن تعرف ماذا يدور بالضبط في المزرعة. لم تر "مارجو" مرة أخرى. والدها يرفض أن يزورها بالتفاصيل. أما التفاصيل التي أهدتها بها "جيرروم" فلم تضف كثيراً إلى ما كانت تعرفه بالفعل.

كان هناك شيء واحد مؤكداً: إن الموقف لم يتحسن، كان الجميع قلقين. لم تسفر جهودهم عن أي تقدم. أحياناً كانت تفاجئهما وهما يتناقشان في نبرة حادة أو حتى كانوا يحبسان نفسيهما في مكتب والدها.

قال أحدهما:

- يجب أن تفهمي يا صغيرتي "آني" أننا نحاول أن نستشف الأمور. الأمر ليس سهلاً.

- ولهذا السبب تحتاجون إلى العزلة أو الحديث بصوت منخفض! كانا يجربان إجابة لا يمكن أن ترضي فضولها. كانت "آني" تشعر بأنها وحيدة، وغير قادرة على القيام بأي تصرف.

ولكي تصرف تفكيرها عن ذلك شرعت في إعادة تأثيث المنزل. وضعت تصميم الأثاث بنفسها، وطلبت من النجار تنفيذه، وطلبت من الخياط تنفيذ البياضات، والستائر، والوسادات. كل شيء كان لا يمكن أن تسلمه إلا بعد أسبوع. لم يكن أمامها سوى الانتظار. الانتظار باستمرار بينما "لاراغ" الأب والابن يجريان في كل مكان

"جان بيير في نامي ، ودون ان تستطيع حيان ذلك شيئاً تبدل كل أفكارها.

كان كل شيء بداخلها في صراع. ابتلعت دموعها، ووعدت نفسها بأن تنساه بدورها.

- آنسة آنني .

اندهشت آنني وفرعت ثم استدارت نحو الصوت. كان "أندريه" واقفاً بالقرب منها في ملابسه الخضراء. كما هي عادته اقترب دون أن يحدث صوتاً. كانت تكره هذه الطريقة التي يظهر بها الخدم فجأة كأنهم يظهرون بفعل عصا سحرية.

- أنا لم أندرك ...

حدثته آنني ببرة جافة، وعلى الرغم من ذلك احتفظ "أندريه" بابتسامة المشرقة، وهو رأسه:

- لا، لكنني أتيت من أجل شيئاً.

عرفت من والدتها أيضاً أنها لا يجب أن تفقد معهم صبرها ولكن في هذه المرة أ فقدتها حزنها صبرها.

- إبني أسمعك! بسرعة ليس لدى وقت أضيعه.

نظر إليها "أندريه" غير مصدق. من الصعب أن تكون مستلقية في استرخاء من ساعة إلا ربعاً وتدعى أنها مشغولة، قال:

- أولاً: إن الشاي جاهز، وثانياً: ساقولها عندما تفرغين من شرب الشاي.

- أفضل أن أقلب هذا الترتيب.

- السيد هو الذي يعطي الأوامر.

ليلعب لختشن. وهي حمام اتساحة ذات المظهر الرشيق نفسه. طويل مفتول العضلات وقوى ويلبس في أناقة المایوه أو السموكينج. يمارس التزلق على الماء أو ال彬نج بونغ أو البريدج. وجهه المثلث، وبشرته السمراة تتنفس فرحة الحياة، وشعره الذهبي الذي يبرز جمال عينيه الداكنتين، وهذه النظرة التي كم من مرة فتقتها، وهذه النظرة التي يلقاها عليها، فتأخذها كلياً جسداً وروحاً. كيف استطاع أن ينساها؟ إن ما اشتهر عنه ليس من فراغ. لابد أن "جان بيير" يحب كل النساء مرة واحدة. شعرت بغيره شديدة. هل يعانق الآخريات كما عانقها أثناء تلك الحفلة الرائعة وهذه الرقصات التي لا تنسى؟

هل يغلفهن بنظراته الساحرة، وبالابتسامة المتوجهة نفسها التي تربص بفريستها؟ اغورقت عيناهما الزرقاء بالدموع.. لقد أخبرها الجميع بذلك. ولم ترد أن تصدق. لقد قال لها "جان بيير": أنا لست الرجل الذي تستحقينه". لم تستطع أن تصدقه! كان من المستحيل أن تفهم. إن هذا يفوق العقل. إن قلبها لم يتحقق فقط لأحد.

تذكرت الوقت الذي كانت تحاكم فيه صديقاتها اللاتي كن يستسلمن لتعقييدات الحب. لم يكن كل ذلك سوى حماقات.

هل كانت تفكّر في أنها ستكون في الموقف نفسه مع رجل ما؟ لنظرة واحدة من الرجل المختار كن يضحكن ساعات كاملة، وللحاجة جارحة كن يبكين. تذكرت آنني ردود أفعالها في ذلك الوقت التي لم تعد لها الآن.

هل كانت هي نفسها تلك الفتاة القوية الواثقة بنفسها؟ لقد قابلت

مثليما مع كل الخدم غالباً ما تنطفيء أكثر نوبات الغضب اشتعالاً. إن ابتسامتهم الدائمة معدية. طريقةهم في الحديث وطريقتهم في سوء فهم كل شيء كانت جديرة بأن تفك تكشيرة أي شخص.

- لا يجب أن تضحكني يا "آني" ، الامر خطير جداً.

قضمت قطعة بسكويت. من المستحيل أن تأخذ كلام هذا الرجل مأخذ الجد.

استطرد:

- لقد أرسل سيدتي ثلاث شاحنات محملة بالبن.

- آه، هذا طبيعي أليس كذلك؟

- هذا الطبيعي. إنه دائماً ما يرسل الشاحنات المحملة بالبن.

ارتشفت "آني" الشاي الساخن، وأخذت قطعة بسكويت أخرى.

- ماذا إذن؟

- إذن!

تحرك على قدميه العاريتين العريضتين. كان من الغريب أنه دائمًا يرتدي زياً كاملاً من اللون الأبيض أو الأخضر أو الأحمر وفقاً لساعات اليوم دون أن يضع أيدي حذاء في قدميه.

- أكمل.

- الشاحنات تذهب إلى "بانجبي". ويتم تحميل البن في المراكب.

كذبت "آني" لتبدو على علم بكل شيء:

- أعرف.

- رحلت الشاحنات أمس الآخر.

- تقصد أول أمس.

في ظروف أخرى كانت "آني" مستضحك من هذا التلاعب بالألفاظ ولكنها نهضت غاضبة وقالت:

- إيني أنا سيدة المنزل!

أجاب "أندريه" في ثقة:

- إن السيد هو الذي أخبرني بذلك.

- وماذا إذن؟

- يجب أن تأخذ الآنسة "آني" الشاي قبل مغيب الشمس.

إنها في حياتها لم تقابل مثل هذا العنيد.

صاحت وهي مدددة على مقعدها:

- حسن.. أحضره لي.

راضياً لأنه قد قام بعمله اختفى "أندريه" ، وعاد بعد قليل حاملاً صينية عليها أشياء كثيرة. وضعها على الطاولة المنخفضة واقترب من المقعد.

- إذا أرادت الآنسة آني "آن....

- لقد أخبرتك أن تناذبني "آني" فقط.

انحنى مشيراً إلى أنه قد فهم جيداً.

صبت "آني" لنفسها الشاي، وأخذت قطعة صغيرة من الجاتوه. عندما رفعت عينيها وجدت أنه مازال واقفاً متسمراً في مكانه مثل الشجرة. في الظروف العادلة ينصرف على الفور.

- ماذا هناك؟

- إنه الأمر الثاني يا "آني" فقط.

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تضحك ضحكة طفيفة. إن معه

- يقول التام تام إن العين الحاسدة قد أصابت السيد "لاجراج" والبن.

ارتعشت وتذكرت كلمات "مارجو"، خاصة التأثر الذي بدا على وجهها وهي تحكي لها اعتقاد السكان الأصليين لهذا البلد في السحر والشعودة. لقد كانت خائفة. لا يمكن أن يعتقد الإنسان في مثل هذه الخرافات، ويستسلم لإرادة هؤلاء.

- هناك خطر ولكنني ساحمي عائلة سيدي. لا يجب أن تذهبني لتنزهي بمفردك في المزرعة، ولا في الخليج. في الليل ستبقى "مبولا" تحت نافذتك. إن العين الحاسدة تحب أن تلتهم الفتيات الصغيرات. شحبت "آني" تماماً.

- سأتحدث مع والدي في ذلك.

- أوه.. لا. سينهريني سيدي، وسيحطم وجهي.

- لماذا. إذا كان هناك خطر حقيقي يهددنا؟

- سيقول إنها أكاذيب، وستزداد العين الحاسدة قوة... زال عن "أندرية" اللامبالاة التي اعتادت "آني" أن تراها في تصرفاته. وعبرت هيئته وحركاته عن كل كلمة يقولها. نهضت "آني" ولكنها اضطررت إلى أن تعود للجلوس على الفور.

لم تعد ساقها تحملانها. بكل قوتها حاولت أن تتعلق بأي شيء منطقي يقبله العقل. همست بصوت واهن: لا يمكن أن تكون تلك الشاحنات قد اختفت، هذا لا يقبله العقل.

- نعم هو كذلك. أول أمس ولم تصل. سكتت "آني" الشاي من الدهشة.

صاح "أندرية":

- أيها الخادم أسرع بسرعة ومعك منشفة. هرول الخادم، وأصلاح الخسائر التي تسببت فيها دهشة "آني" تحت عين مدير المنزل "أندرية". ثم عاد بسرعة إلى المطبخ. استطرد "أندرية".

- لقد اختفت الشاحنات الثلاث: البن، والسائلون، والعمال.

- لماذا تروي لي كل هذا؟ أعتقد أن سيد العمل على علم.. رفع سبابته ومحظت عيناه:

- لا، سيدني ليس على علم.

- هذا مستحيل يا "أندرية". كان لابد أن يتصلوا به من "بانجبي".

- لا.. لم يتصل به أحد. إنهم لا يتصلون أبداً عندما تصل الشاحنات إلى الميناء. إن العمال يعرفون عملهم جيداً، وهم ليسوا في حاجة إلى إخطارنا. إنهم يعودون، وهذا كل شيء.

- إنهم في الطريق إذن.

بدت علامات الغيظ على "أندرية":

- قلت لا. لقد اختفى كل شيء.

- كيف عرفت ذلك؟

- التام تام!

وضعت "آني" القدر في هدوء. في هذه الحالة أرادت أن تعرف أي منهما مجنون. سمعته يستطرد:

الفصل السابع

بعد أن استدعاهم والد "آني" بسرعة، وصلت عائلة "دوفرين" في اليوم التالي الساعة السادسة مساء استقبلهم "جيروم" و "هنري" عند نزولهم من السيارة. كانت "آني" تنتظرهم في غرفة المعيشة. لقد أصبحت في ظل هذه الظروف سيدة حقيقة لهذا المنزل، تحافت من أن شيئاً لم يكن ناقصاً: جوز الهند، الزيتون، المسكونيات بالجبن. على المشرب الأكواب والزجاجات مصفوفة. لم تكن قد تسلمت بعد الأثاث الجديد والأقمشة التي اعتزرت أن تزين بها المنزل فاستعاضت عن ذلك بباقيات الورد. في ركن من الصالون، زرعت نخلة صغيرة وضع في ظلها مقعدين من القش.

ظهرت "مونيك" أولاً واحتضنتها في حنان بين ذراعيها:
- أوه يا عزيزتي .. كم أنا سعيدة بلقائك. أتمنى إلا تكوني قد
تأذت يكلا هذه القصص .

كانت "مونيك" تبدو فاتنة، شعرت "آني" فجأة بأن قليها قد تخلص من همومه. كان الغبار الأحمر قد ترك آثاره على "مونيك".
— بعد إذنك أريد أن أغتسل. مستحيل السفر في هذا البلد دون
أن تبدو آثار الغبار على كل شيء.

دخل الرجال بدورهم. دخل "دوفرين" الابن والاب يحيطان بهنري ثم تبعهم حيروم. فجأة شعرت آنمي بالخجل، ولم تخرو على مواجهة نظرة جان بيير. كان استقبالها بارداً. أخذت

عن بنيت على حمام.
أرادت أن تطلب منشقة جديدة ولكن كان الخادم قد أحضرها بالفعل.
— أليس لديك فستان تفرضيني إيه؟ لا أريد أن أفتح حقيبتي.
اخذت "آتي" فستاناً واسعاً بالقدر الكافي وأحضرته لها.
كان فستاناً أصفر يناسب تماماً بشرتها السمراء... شكرتها
مونيك" في حرارة. عادت "آتي" إلى غرفة المعيشة.
توجه "جان بيير" ووالده إلى الحمامين الآخرين في المنزل.
كان "هنري" و "جيروم" يتحدون في الشرفة. قررت أن تقوم
بجولة في الحديقة خلف المنزل.
 جاء الليل ليهدأ كل شيء في الطبيعة. إنها هدنة مؤقتة.

بعد قليل ستنسيقظ الضفادع لتقدم حفلها الموسيقي، وضحكات الضباع الهيستيرية، ورد ابن آوي عليها، وغناء الشعابين، وانتصار أنثى الأسد في اصطياد الغزال... أما في هذه اللحظة فقد كان الهدوء. استمتعت "آني" بهذه اللحظة في عمق متقدمة في المر الذي تصفه أشجار الليمون. كانت تحتاج إلى أن تستجتمع أفكارها. إن عودة "جان بيير" تفقدها التركيز. كان يستطيع أن يبقى في "بانجي" إذا كان يرغب في ذلك. لقد اقترح عليه والداه ذلك بالتأكيد، لكنه قد أتى! هذه الفكرة وحدها كانت تجعلها في قمة السعادة. ولكنها لم تكن كذلك. على العكس.

لقد لاحظت الفتور في عيني "جان بيمير" .. فتوراً أو لا مبالاة. متحاولة مساعدة لياتها، نسبت هروبيها، وبرودة استقبالها. إنها تحالف

يصدق على الأرض، وأشار في اتجاه المنزل:
— عودي إلى المنزل بسرعة، ولا تقولي شيئاً لسيدي. لم يكن من الممكن أن تعرف لماذا، ولكن أدركت "أني" أنه لا يجب أن تفصح عن أي شيء. لم تصر، وأسرعت في اتجاه المنزل. صعدت درجات السلالم، ودخلت غرفة المعيشة.

— إنه حسن.. هانت. أين كنت؟
بدا القلق على والدها. الآخرون كانوا ينظرون إليها في دهشة. لاحظت ووجها يحمل علامات الخوف كل ذلك لا يشير إلى أنها كانت في نزهة لطيفة. اختارت "أني" أن تكذب في حدود المعقول:
— كنت في الحديقة عندما مر شيء ما أمامي بسرعة. لقد كان حيواناً ضخماً.

بحركة أرادت أن تشير إلى حجمه ولكنهم انفجروا في الضحك جميراً.

— ذلك تدين على الأقل.
— تمساح.
— نمس.

قال "جان بيير" وهو يشعل سيجارته:
— أو خيال. إن الفتيات الصغيرات غالباً ما يكن ضحية للتهبيات. وجد الجميع أنها دعاية لطيفة. جلست "أني" في أحد المقاعد، وشربت كوب عصير الليمون جرعة واحدة. غير راغبة في تركها في هذه الحالة أدارت "مونيك" الحديث إلى موضوع آخر أكثر جدية.
— كل هؤلاء الذين يأتون إلى الغابة للمرة الأولى يخافون أمام أي

النطق بهذا التصرف. تقدمت في الحديقة، وصعدت نحو أشجار المانجو والجواوة وهي صورة مصغرة للغاية الاستوائية. مفكرة، وقلبها مثلث بالهموم توجهت نحو الأشجار. إنها تحبها منذ أن كانت طفلة صغيرة. إنها تشعر بالأمان بالقرب منها. جذب انتباها حفيظ أوراق الأشجار. تسمرت في مكانها، لم يكن هناك شيء لابد أنه كان عصفوراً. استأنفت السير في حرص وفي صمت كالقطة. سمعت صوت الأشجار من جديد لكنه أكثر وضوحاً هذه المرة. إنه لا يأتي من أعلى ولكن من أسفل. كان الليل مظلماً تماماً. أمعنت النظر ولكنها لم تر شيئاً. حبس أنفاسها وتسمرت مكانها. سمعت همسة ثم لاشيء. على عينيها تحركت الحشائش. شعرت "أني" بالخوف.. خوف سمرها في مكانها. كان هناك اصطدام شديد، بعد ذلك رأت أربعة ظلال تجري بسرعة نحو الخليج.

في اللحظة التي تلت كان "أندريه" واقفاً إلى جوارها يهمس:
لاهثا:

— لقد أخبرتك يا "أني" لا تتذكرني بمفردك في الحديقة!
— لكن...
— ليس هناك لكن. اسمعني.
لقد كان شديد الغضب. قدماه تضربان الأرض في شيء مثل رقصة غير مفهومة. كانت تشعر "أني" بأن جسدها ساخن وحلقها جاف.
— ماذا يريدون؟

جميلاً، أكثر جمالاً حتى من الأوقات العادبة. لقد أثرت فيه إقامته في "بانجبي". شعره الكثيف قد أخذ لوناً ذهبياً، وسمرة وجهه قد جعلت ابتسامته متالقة، ونظراته الداكنة أكثر دفعة. أرادت "أني" أن تبكي. هو الذي كان في منتهى الرقة معها وهو يراقصها! يالله من تحول. حاولت لحظة أن تواجهه:

—اعتقد أن فكرتك عن النساء فكرة لا تواكب العصر.
—لأنني أعرفهن جيداً.

خففت "آني" رأسها. نزل شعرها الأشقر الكثيف كالستارة ليخفي وجهها. لم يستطع أحد أن يقرأ مدى الحزن الذي تشعر به. خمنت "مونيك" ذلك. إنها حقاً أمراً مرهفة الحس.

طابت لنجدتها:

- أنت غير منصف على الإطلاق. لا أرى سبباً يجعل "أني" لا
تشارك في هذه الهموم.

استطاع "جدهم" وهو يضع كوبه:

- لا يوجد سبب على الإطلاق. الأمر يخصنا جميعاً. إن هذه الشاحنات لم تتحول إلى دخان. إن هناك مؤامرة ما.

أخذ السيد دوفرين "ثلاث زيتونات ومد كوبه إلى أندرية":
 - من يقول مؤامرة في إفريقيا فهو يقصد انقلاباً، لابد من قتل الفتنة في مهدها وإن فسوف نقابل كوارث خطيرة. أذعن هنري لاجراغ". لقد أضافت تلك الأيام الماضية سنوات كثيرة إلى عمره.

- إنما، لم أر ذلك قط حتى أيام الاستقلال الصعبة. لقد كان الزنوج

شيء. أنا كنت أخاف من العناكب. إنها ضخمة هنا. كنت لا
أستطيع النوم ليالي كثيرة وأنا أتخيلها تغزل خيوطها تحت الناموسية.
استطعت "جان بير" وهو يضغط على كلمة "صدقة":

- كانت لي صديقة تخاف من الثعابين خوفاً مرضياً. كانت تراها في كل مكان. ذات يوم اختلط عليها الأمر بين حزام وثعبان.

لم تجد "أني" ذلك غريباً على الإطلاق. إن تعليمها الجيد قد أجيدها على إخفاء غضبها بابتسامه لطيفة. قص كل واحد منهم قصة طريفة. وبعد قليل لم تعد تسمع أبداً.

فَعَنْتَ أَنِّي وَقَدْ أَخْذُوهَا

— ایں کنت یا عزیز تھے؟

- كنت... كنت أفكّر.

غمى إليها "هنرى":

— لا أعتقد أنها الساعة المناسبة.

بدت آئي كأنها طفلة ارتكبت خطأ تريده إخفاءه. ولكي تدافع عن نفسها قالت بسرعة:

- أرجو المغفرة، ولكن قصة الشاحنات تشعرني بالقلق .
عاد الحزن إلى "هنري" و "جيروم". ارتشف السيد "دوفرين"
كاسه، قال "جان بيير":

- هذه المشكلات لا تخصل الفتيات الصغيرات، بما أنك غير قادر على اقتراح حل لها فلا عليك أن تطرحها.

على الرغم من قسوته وحدة نبرته فإن ذلك لم يمنعه من أن يكون

في ثورة ولكنهم لم يكونوا أشارةً.

سالت "مونيك" :

- هل انت متأكد ان ذلك يأتي من السكان الأصليين؟

- كيف اكون متأكداً؟ إن الأمر مهم تماماً.

- إنهم على الرغم من ذلك قد قبضوا على رجلين في المزرعة كانوا يحرضان الآخرين.

نهض "جبروم" ليحكى ما حدث:

- عودوا إلى منازلكم. لستم في حاجة إلى العمل من أجل البيض. تحن لدينا قرأتا والتبنات البرية التي تنمو في كل مكان.

وضع السيد دوفرين "كوبه وهر رأسه. إنه واع لدوره كرئيس لهذه النطقة. قال:

- أحسست صلعاً عندما طلبت مني العودة. يجب أن أتدخل، إن العصيان يتفسى كالوباء. الموقف ينذر بخطر كبير.

- هل تعتقد أننا قد صويناهم كما يجب... ثلاثة ضربة من...

تدخلت "مونيك" :

- "هنري" لا داعي من التفاصيل أمام البيت. كانت "آني" جالسة في مقعدها لا تتحرك ساكناً. وأصر "جان بيير" - الذي لم يكف عن النظر إليها - على مضايقتها قائلاً:

- إني مازلت عند رأبي: لم تخلق النساء مثل هذه القصص. أقترح عليكم أن تتحذّروا في شيء آخر، وأن تتناول العشاء في هدوء ثم يكون هناك اجتماع للرجال.

الفصل الثامن

- هيا بنا.

فتح السائق "سيمون" الباب، وركبت "آني". وعندما لا حظ أن "أندريه" مازال واقفاً إلى جواره تبادلا حديثاً بلغتهم. وبعد حركات كثيرة بالأيدي وكلمات غير مفهومة لها ركب. "أندريه" أخيراً في مقودة السيارة.

خمسة كيلومترات تفصل بين مزرعة "لارجاغ" و "بامباري". كان الطريق الذي يصل إلى منزل رئيس المنطقة مهدداً. كانت حديقة مصممة تصميمًا فرنسيًا جميلاً تشرف على منزل مماثل تماماً منزل "آني".

كانت "مونيك" في انتظارها ترتدي شورتاً قصيراً جداً، وقميصاً خفيفاً، كانت تبدو كأنها في إجازة. لكن حقاً.. إنهم في هذا المكان كانوا في إجازة دائمة.

- كيف حالك يا عزيزتي؟

كانت "مونيك" مفعمة بالحيوية والنشاط، وحدثتها "آني" على ذلك أنها كانت تشعر بالإجهاد والإحباط. وعلى الرغم من ذلك فقد بدأت تتجول البلد والطقس. إن الشمس التي تشرق كل الأيام دون أن يحجبها أي شيء كانت تضفي بهجة عميقة على كل شيء. في ظروف أخرى كانت مستنעם بهذه الحياة التي تدور في بطيء حول آلاف الأشياء الصغيرة الجميلة: الاستيقاظ، وتناول الإفطار، في الشرفة، والاستحمام، والاسترخاء. حتى الغداء، والقيلولة، ثم نصف ساعة جميلة تحت الدش البارد، أو القراءة، أو الرسم، أو الكتابة. حتى وقت الشاي، واستبدال ملابس الماء بملابس النهار ثم ساعة

كما هو محدد جاء سائق عائلة "دوفرين" في الساعة الثالثة، وتوقف أمام الشرفة. كانت "آني" تنتظر في فستانها الوردي الجميل. وضعت حقيبة يدها على كتفها، وهمت بالخروج عندما أمسكت يدها قبضة قوية.

- أنت. لا تخجلي بمفردك.

لقد كان "أندريه" الملوك الحارس.

- إنني ذاهبة إلى السيدة "دوفرين".

- سأرافلك.

- هذا أمر سخيف.

اعتقد السائق أن أحداً لم يلاحظ مجده فأطلق النغير.
بدا "أندريه" مصمماً:

- سأتاكي.

- وكيف ستعود.

- سيراً على قدمي.

- حسن. ألن تقى معى؟

- سيأتى سيدى ليأخذك. بذلك لن يخاف "أندريه" عليك بما أن سيدى سيكون هناك.

لأشياء من حياة عائلة "لارجاغ" يخفى على هذا الخادم. دون أن يسمعه أو يراه أحد، كان يسمع كل شيء ويعرف كل شيء.

رفعت "آني" كفيفها:

- لقد دعا بعض الأصدقاء، سأقدمهم لك.
 أرادت "آني" أن تهرب، ولكن "مونيك" كانت قد أجبرتها بالفعل
 على نزول الدرجات.
 - أوه أيها الأصدقاء.

التفت الجميع. توقفت نظراتهم في دهشة على "آني".
 شعرت بإحراج شديد. نهض "جان بيير". لقد كان مثيراً للإعجاب
 وهو يتقدم في خطواته الرشيقه. خففت "آني" عينيها وهو يتقدم
 نحوها، مد إليها يده.

- إني سعيد بلقائك يا آنسة "لاراجن". كنت قد اعتقدت أنكِ
 اختفيت.

لم تكن "آني" تجيد الرد على السخرية. اكتفت بأن توردت
 وازدردت ريقها. أحاط بها أصدقاء "جان بيير".

قال "جان بيير":

- ها هي غوذج الفتاة شابة حقيقة رومانسية وعدبة، واسمها
 آني.....

صفق الجميع وهم يضحكون.

قبلت "مونيك" خد الفتاة الشابة وهمست في أذنها:
 - يجب أن تعتادي روح الدعاية يا صغيرتي. أجيبي.
 كانت "آني" مضطربة جداً، غامت نظرة عينيها الزرقاويين. ناشر
 شاب أشقر ونحيف بمظهرها وقال لها:
 - اغتنى أن تاخذني ذلك على أنه مجاملة.
 - لست أدرى.

المشروبات، وبعدها العشاء. في حياتها لم تشعر "آني" بكل هذه
 الحرية ولكنها لم تكن تعرف كيف تستخدمنها. كان هناك سام
 شديد يتملكها بشكل منتظم يعمق بداخلها الشعور بأن هناك شيئاً
 ما ينقصها.

لم تر "جان بيير" مرة أخرى. إنه في "بامياري" منذ أربعة أيام! إن
 هذا كثير بل وكثير جداً. إنه حتى لم يهتم بمعرفة مادام بالنسبة
 لمشكلة "هنري" و "جيروم لاجرانج" أعز أصدقائه وأقدم رفاته.
 بعيداً عن شعورها بالإحباط فسرت "آني" (لاميلاه) "جان بيير"
 على أنها نذالة. وشعرت بكراهية شديدة تنمو بداخلها تجاهه.

دافئة كما هي طبيعتها أطلعت "مونيك" "آني" على المكان،
 وطلبت منها بعض النصائح الخاصة بتجديف الديكور. استجابت
 "آني" لطلباتها. لقد كانت تحب هذه السيدة المرحة الحانية كثيراً.
 اقتربت إليها مونيك:

- ما رأيك في حمام صغير؟

- آه... لقد نسيت أن أقول لك إن لدينا حمام سباحة خلف المنزل.
 تعالى لنرى.

أخذت يدها وقادتها. لم تكن "آني" قد رأت "جان بيير" بعد،
 وسعدت لذلك. إنها الآن لا تزيد أن تعرف أي شيء عن أخباره.
 لقد كان هناك ممداً على بطنه، ذقه على يديه ناظراً إلى تلك
 الخلقة الرائعة التي أمامه. كان هناك أشخاص آخرون يتحررون حول
 حمام السباحة.

شعرت "مونيك" بـ "آني" ترتعش. قالت في لطف:

بزيارتني.. ولكن ليس لدينا حمام سباحة.
 - لا يهم...
 - هل لديك جهاز أسطوانات؟
 - نعم....
 - نستطيع أن نرقص. على أية حال هناك دائمًا ما يمكن أن نفعله.
 كانت "دومينيك" لطيفة جداً، ومفعمة بالحيوية، وسلسلة من
 الحركات الكوميدية الساخرة ترافق كلماتها.
 هل تنوين البقاء في إفريقياً فترة طويلة؟
 ألقت نظرة أخرى على "جان بيير". كانت تود أن تجيب: "نعم.."
 دائمًا، كل حياتي إذا كانت حياته أيضًا ستكون في "بامباري".
 لا... في الإجازة فقط. إنني مدرسة أطفال، والتحقت بالعمل
 في مدرسة خاصة.
 ابتسم إليها "باتريك" في لطف:
 هل تحبين الأطفال؟
 - إبني أعيشهم.
 - ستكونين أمًا جميلة.
 أجبت "آني" بصدق وحماس:
 - إبني أتمنى ذلك من كل قلبي.
 - كم من الأطفال تريدين؟
 - طفلان. ولد وبنت.
 قالت "دونيك" وقد جاءت لتمدد إلى جوارهم:
 - اختيار الملك. أنا أيضًا كنت

قالت "دونيك":
 - إن "آني" واحدة من العائلة.
 كانت "دونيك" ودودًا جدًا، مما دفع الباقين إلى تقليدها.
 - هيا بسرعة ذهبي والبسى المایوه.
 - إنها ساعة الغوص.
 - إنني اقترح عليك غطسين تحت الماء.
 كانت "آني" تعشق السباحة؛ فاستجابت لهذه الدعوة على الفور.
 لبست "آني" المایوه البیکبی، وكانت رائعة. وحصدت إعجاب
 الجميع. لم تكن طويلة ولكن كانت متناسقة القوام فقد كانت تشبه
 الدمية الجميلة. انزلقت في الماء في رشاقة.
 قطعت حمام السباحة ذهابًا وعودة. ثم بربت من الماء وشعرها
 الأشقر ملتصق على رقبتها، مما أبرز رسمة عينيها اللتين على شكل
 اللوزتين ووجهها البيضاوي.
 إن السباحة تساعدها على الاسترخاء. على الرغم من ذلك آثرت
 أن تكون حذرة، وتتجنب النظر في عيني "جان بيير".
 خرجت من الماء، وتمددت على الحصيرة التي أعدتها لها "دونيك".
 "باتريك" الشاب الأشقر، و"دونيك" الفتاة ذات الشعر الأحمر كانوا
 يجلسان إلى جوارها.
 - لماذا لا تأتين "كثيراً"؟
 ألقت "آني" نظرة نحو "جان بيير". لقد كان شديد الجاذبية وهو
 يتحدث مع "رافي" الجميلة المولدة من أب أوربي، وأم آسيوية.
 - لقد كنت مشغولة بتغيير ديكور منزلنا لكن أتمنى أن تسعداني

أيقظت هذه الثورة الآخرين. نادت "دومينيك" قبل أن تغزو بدورها.

- "كلودي سباستيان" سنجري مسابقة.

دون انتظار أسرع الجميع. يالها من مجموعة سعيدة!

ناملتهم "مونيك" طويلاً وقف خمستهم في صف. عند إشارة البدء انطلقوا في "كرول" بدبيع. ابتعدت "رافي" قليلاً. قبل "جان بيير" رقتها، وذهب ليجلس إلى جانب أمها.

- هل تعتقدين أنه من الواجب أن أدعو "آني" لصيد البط؟

- عليك أنت أن تقرر.

- أود رأيك.

- آني لم تمسك قط بندقيه، هذا واضح. يمكنك أن تعرض عليها ذلك.. سيسعدها عرضك.

- إنني أفعل ذلك من أجلك.

- كيف من أجلي؟

- أشعر بأنك حريصة على الاحتفاظ بعلاقة طيبة معها.

التفت "مونيك" التي لم تكن حتى هذه اللحظة قد تركت السابحين بعينيها وقالت:

- اسمع.. لنكون بسطاء. إنني آنا من دعوت "آني" اليوم، وأسأفعل ذلك مرات عندما أريد. إنني كبيرة بالقدر الكافي حتى أقوى صداقاتي بمفردي. لا طائل من أن تشعر بأنك مسؤول عن ذلك.

همس "جان بيير" في ارتياح:

- أعترف بانني لا أفهم ردود أفعالك. كأنك تكرهينها.

- ليس تماماً. إنها. فقط صبية صغيرة حتى أهتم بها.

- 83 -

- أود أن يكون لدى بنت.

غضت "آني" شفتها، واستدارت لتجفف جسدها. سمح لها حركتها بأن ترى نظرات "جان بيير" الشغوفة بحمل المولدة الحسنة.

كانت "رافي" تجلس على حافة حمام السباحة، وقدماها في الماء. همست "دومينيك" :

- هذه الفتاة جميلة جداً.

قال "باتريك" :

- إن المولدات لديهن مميزات كثيرة ولكن لا ينقصهن سوى شيء واحد.

- ما هو؟

- الوفاء.

- إنك تحمل لهن الكراهية.

أضاف "باتريك" :

- إنها فتاة لعوب صغيرة.

قهقهت "مونيك"، وأزاحت شعرها للخلف؛ لعرض وجهها كله للشمس.

- إنها لا تستطيع أن تكون أشد قسوة من "جان بيير" في لعبة الحب. لم أعرف من هو أكثر منه غشاً.

غضت "آني". كان أمراً عاجلاً أن تتخلص من الجذابها نحو "جان بيير" ، وسطوته على قلبها. وكانها تضع هذا القرار في حيز التنفيذ مالت نحو "باتريك" :

- هل تأتي لتبسج؟ سأدخل معك في مسابقة.

نهض في ثوبه وأمسك ذراعها وقفز الاثنان في حمام السباحة.

الفصل التاسع

الشاحنات... هل استعدتموها؟

لا.. التحقيق يأخذ مجرى، ووالدك يهتم به.

زفرت "مونيك":

إن الأمر خطير جداً، ماذا ستفعلون؟

الآن سنسأل الجميع، أخشى إلا نعرف الحقيقة قبل الليل، إنهم جميعاً يلوذون بالصمت، إنهم إذن يخفون شيئاً، من الأفضل أن تبقى "آتي" لديكم، لا أحد يعرف متى سنعود.

قالت "آتي" في حزم:

سأأتي معك.

فتح "جيروم" فمه ولكن سبقة "جان بيير" وقال:

لا، بالتأكيد.

دهشة نظرت إليه "آتي" وقالت:

ليس فقط لأنه لا مكان لك هناك لكن لأن في ظل هذه الظروف الصعبة قد تدفع فتاة بضوء جلدتها ثمناً.

توقف عن الكلام واستدار عن وجهه "آتي" الجميل العابس وأضاف في وهن:

جلدتها وشرفها.

ارتعش الجميع، وأمسك "جيروم" ذقنهما قائلاً:

إنه محق.

لكن لا أستطيع أن أبقى مكتوفة الأيدي وأنا أعرف أنك أنت ووالدي في هذه المخنة.

استطرد "جان بيير":

أتعبت الشمس والسباحة "مونيك" و "جان بيير"، وأصدقاؤه و آتي" فذهبوا للاستراحة في الشرفة، دخل "جيروم" فجأة:

آسف لمقاطعة هذا الاجتماع ولكن لدى أخباراً غير سارة، وثبتت "آتي" وبحثت في تلقائية عن يد أخيها.

هل الأمر يتعلق بوالدي؟

اطمئني، إنها ضربة من "ترافلخار" في المزرعة، قدمت له "مونيك" مقعداً وطلبت له عصيراً.

التقط أنفاسك وقص علينا.

صاحب، منهكاً، لم يجد "جيروم" على ما يرام، وهي التي كانت تلهو وتصرخ منذ قليل، شعرت "آتي" بالندم وهي تجلس على يد المبعد تمسح خدي أخيها.

لا داعي من إزعاجكم بهذه الروايات، لقد جئت فقط لطلب منكم أن تحفظوا بـ"آتي" لديكم هذه الليلة....

بدت "مونيك" قلقة، فجأة أشعلت سيجارة في عصبية:

ماذا يحدث يا "جيروم"؟

تعرفين أننا سرحدنا (فصلنا) ثلاثة عمال....

هؤلاء الذين كانوا يحرضون الآخرين؟

هو كذلك، يبدو أنهم قرروا الانتقام، وجدنا عملاً مقبولاً بوحشية في المزرعة، والآن لا يريد أحد أن يتحدث.

نهض "جان بيير" وتقدم خطوات.

- ليس الأمر كذلك. ليس الأمر كذلك.
- قوله لي كل شيء.

لقد كانت تشق في "مونيك" ولكن ليس إلى الدرجة التي تنتقد ولدها وأن تفضح لها بكل ما تأخذه عليه. وعلى الرغم من ذلك فقد فاض الكيل بقلبها الصغير. إنها تشعر بالأسف.. نعم بالأسف لسلوك "جان بيير". لماذا لم ينطلق في نجدة صديقه المفضل؟ لماذا كان لديه بدلاً من قلبه؟ إنها تكرهه. لقد فاض الكيل بكل ما تشعر به من غضب وكراهة. هذا الرجل الساحر الذي بهرها منذ أول مرة تحول إلى شيطان.. إلى وحش. في لمح البصر انقلبت أمام عينيها كل خصاله إلى عيوب. سحره الطبيعي العميق لم يعد سوى قناع يشع، وابتسامته اللامعة تحفي شرّاً كبيراً. نذل ومتافق ، يفتقد إلى الأدب، وثرثار، ومهكم، ومتوجه. إنه كل ذلك.

نهضت آني غاضبة.

- سأعود إلى البيت.

في حزم شديد أجبرتها "مونيك" على العودة إلى النوم.

- مستحيل. لقد وعدت أن أبقيك.

- لكن يا "مونيك" لم أعد أستطيع.

- تعقلي.

في رفق أخذت "مونيك" تدلك يديها ثم ذراعيها.

شعرت آني بالاسترخاء.

- هانت بدأت تهدئين... تنفسي ببطء يا عزيزتي.

كانت "مونيك" لطيفة وصبوراً كأنها أمها. قبلتها في حنان. بدأت

- إنهم ناضجإن بالقدر الكافي ليتصرفا. إنني أعرفهما جيداً حتى أكون متاكداً من انهم سيخرجان من هذا المأزق.

ابتسم إليه "جيروم" ابتسامة حزينة. رأت فيها آني "خبية أمل عميق، حتى الصداقة لم تكن منصفة. لم يكن "جان بيير" مخلصاً في دوره. إن استخفافه يصيب بالأسى. إنه حتى لم يفكر في مساعدتهما! تلقى "جيروم" صدمته في صديقه، وأدرك آني بحسها الأنثوي أن أخاه قد جاء باحثاً عن الموسعة والمساعدة...

بعد برهة صمت زفر "جيروم" ونهض في وهن. لقد كان معتمداً بنفسه حتى إنه لم يجرؤ على طلب مثل هذه المساعدة.

- حسن، سأذهب. آسف على الإزعاج.

- لكن يا صغيري لا تفك في ذلك... هل أخبرت زوجي بما حدث؟

- لقد ذهبت إلى مكتبه، وسيمر علينا. إننا نحتاج إلى مساعدته. أخذ "جان بيير" "جيروم" من كتفه وقاده إلى السيارة اللاذروف، تضافعاً. انفجرت آني في البكاء وقدرتها "مونيك" على الفور إلى حجرتها. في حنان جعلتها تسترخي على سريرها.

- أبكي يا عزيزتي، هذا سيشعرك بتحسن. لا يجب أبداً أن تختفي بالحزن في داخلك.

ذهبت في هدوء وعادت إليها وفي يدها منشفة مبللة بالماء البارد، ووضعتها على جبينها، وجلست إلى جوارها.

- كل شيء سينتظم. لا تخشي شيئاً.. إن والدك ممتاز، يكتب آني:

الدمع توقف.

- هل تشعرين بتحسن؟

- قليلاً... لكنني أريد أن أستريح.

- تريدين أن تكوني بمفردك. أليس كذلك؟
هربت "آني" رأسها.

- لا يجب ذلك. ستفكرين في أفكار سوداء. اذهبي وخذلي دشنا.
وبعد ذلك سازينيك؛ حتى تستعيدي مظهرك. إنك تخيفين اليوم الآن
بأنفك هذا وعينيك الحمراوين هاتين.

وان لا طائل من الصمود أمام قرارات "مونيك". بعد اعتراض وجيز
اضطررت "آني" إلى الإذعان. ارتدت ملابسها، وسرحت شعرها،
وعادت إلى مظهرها الجميل بفضل عناية "مونيك". عادت "آني" إلى
الصالون في الوقت الذي كان فيه الحفل في وجهه. "دونيك" و
"جان بيير" يتحدون في حماس عن مشكلة العمارة الهندسية في
إفريقيا. الآخرون يرقصون على موسيقى الروك.

شاردة جلست "آني" في أحد الأركان وهي تتمنى إلا يلاحظ
وجودها أحد. ولكن أشارت لها "دونيك" أن تنضم إليهما.
ووجدت "آني" أنه ليس من اللائق أن ترفض.

- تصوري أن هذا الأحمق يريد فتح مكتب هندسي في "باريس"：
هذه المكاتب تفتح في "باريس". إنه على وشك التوقيع.
متجاهلة "جان بيير" في تعالٍ التفتت نحو الفتاة الجميلة ذات
الشعر الأحمر:

- هل تعتقدين أن ذلك خطأ؟

صحيح "جان بيير" :

- إنه ليس خطأ على الإطلاق. على العكس... إنها فكرة عبقرية.
هذا البلد في فترة تنمية ويلزمه إنشاءات جديدة. انكسر حمامه أمام
نظرة "آني" الباردة التي التفتت نحو "دونيك" :
- وأنت ماذا تعملين؟

- أعمل في الإعلان. سأذهب لأعمل في وكالة فرنسية. لن
استطع أن أعيش كل الوقت في "إفريقيا". إنها رائعة في الإجازات.
لكن كل شيء بها بدائي وعنيد، العواطف بها متنيدة. أحب
التضارب: النور والظلام.

قال "جان بيير" في نبرة ساخرة:

- الغناء والمشاعر الخذلة، والحب الرقيق.

رمقته "آني" بنظرة احتراف. دون أن يتأثر أضاف:

- أرى أنني لا أستطيع أن أستقر في مكان آخر غير هذا المكان.

قالت "آني" :

- ولا أنا؟

مال "جان بيير" نحوها في اهتمام وسألها:

- هل بهرك البلد.

تحولت عينا "آني" الفاختنان إلى الكحلي، وتحولت ملامحها إلى
الحادة وقالت:

- لقد بهرنني البلد فقط وليس ساكنوها.

تقبل "جان بيير" كلماتها اللاذعة مبتسمًا.

- هل أصبحت بخيبة أمل؟

شعرت آنني بالغبطة. نهضت. كان من المستحيل أن تبقى ثانية واحدة أمام هذين الشخصين. إن كرامتها هي المستهدفة هذه المرة. معتدلة نفسها سارت؛ لتلتحق بـ "دومينيك" في الشرفة. كانت مستندة إلى الدرابزين كأنها تتأمل مياه حمام السباحة الساكنة.

- هل أزعجك؟

- على العكس. كنت أفكرك فيك. أجدك غريبة في معاملتك مع "جان بيير".

- إنه عقد قليلاً.

- هل أساء التصرف معك؟

غضت آنني شفتها. إنها تكرهه بالتأكيد ولكن كان من المستحيل أن تشمي به.

- لا.. على الإطلاق ولكنني لا أحب طريقة في أن يعتقد نفسه أعلى من الجميع.

- إنه لا يعتقد ذلك إنه كذلك بالفعل. إنه رجل ذو شخصية قوية جداً. إنني أعرفه جيداً... لقد كنت أحبه ولكن الآن انتهى كل شيء ولكنني ما زلت معجبة به. لم تقدر آنني على الاستمرار في هذه المناقشة.

- لا بل.. بالدهشة لدرجة أنني أحبطت.

كانت آنني تدافع عن نفسها بشكل جيد. وهم "جان بيير" بالإجابة على النهج نفسه عندما أسرعت "دومينيك" قائلة:

- ما الذي أدهشك!

- أدهشتني نوع من النذالة.

وضعت "دومينيك" يدها على ذراع آنني:

- هذا أمر قاسٍ. لا أعرف عمن تحذدين، لكن هذا خطير.

وضع "باتريك" أسطوانة موسيقى هادئة ونادي:

- الجميع إلى حلبة الرقص.

انحنى "جان بيير" أمام آنني:

- هل تريدين أن ترقصي؟

- لا.. شكراً. إبني متعبة.

لم يستطع أن يخفى دهشته.

- هل أستطيع أن أعرف ماذا هنالك؟

نهضت "دومينيك" وخرجت إلى الشرفة.

- كل شيء على ما يرام يا "جان بيير".

نظرت إليه ثم خفضت عينيها. أسرعت "رافي" نحو "جان بيير":

- أوه. ادعوني إلى الرقص من فضلك يا "جان بيير".

كالهرة أخذت تتدلل وتتمسح به دون حياء.

- دعني يا "رافي". إبني أتحدث مع آنني.

قبل عنقها ودفعها في رفق. انفصلت عنه الحسناً رغمًا عنها.

- هل سيمستغرق هذا طويلاً؟

الفصل العاشر

الفترات بين كل ساعة و أخرى . أخذت تعد خمس ثوان ، ثم عشرة . في الثانية الخامسة عشرة و ثبت من سريرها ، وأسرعت نحو النافذة . أرادت أن تعرف إذا كان ذلك حقيقياً . دفعت الشيش قليلاً . ضربت الأمطار الأرض بقوة . اشتمت رائحة الأرض المبللة بماء المطر . الحرارة المختزنة منذ أعوام في كل شيء خرجت على شكل رطوبة .

همت بأن تغلق الشيش عندما لاحت ظلأً يدخل الحديقة . دق قلبها بشدة . بقيت متسمرة في مكانها . مر الخيال بين الحشائش الكثيفة . اعتقدت أنها تعرفت عليه ...

انتبهت كل حواسها ، وحملقت في ظلام الليل . كان الخيال يجري في اتجاه كوخ البستانى . إنها متأكدة الآن أنه "أندرية" . كانه كان يريد في البداية التوجه إلى المنزل ولكنها عدل عن ذلك في آخر لحظة .

لم تقر "آني" شيئاً . شعرت بأنها يجب أن تذهب لمقابلة الخادم . ناسية أنها كانت في ملابس النوم عبرت حجرة المعيشة ، واندفعت في أثره ، رعما جاء ينبع منها بشيء خطير يخص والدها وأخاهـا . - "أندرية" "أندرية" ... هذه "آني" . أجب .

وهي تقترب من الكوخ انتابها خوف شديد . وماذا لو لم يكن هوـا وعلى الرغم من ذلك دفعت الباب . لم يكن هناك أحد . بحثت أعلى في ركن به نباتات الحزام . تقدمت وساقها ترتعشـان في بطء .

كما هي عادته يظهر "أندرية" بدون سابق إنذار . ارتعشت "آني" :

كان يجب أن يستيقظ "جان بيبر" وأصدقاؤه في اليوم التالي في الفجر ، ليتوجهوا إلى صيد بط "بامباري" الشهير . إنه بط بري أصلي ! ذهبا للنوم بعد العشاء مباشرة .

شغلت "آني" الغرفة الزرقاء في طرف الجناح الأيمن للمنزل ، والتي كانت تشرف على الشرفة ، والحدائق في الوقت نفسه . كان هناك باب يصلها بحجرة المعيشة .

كانت "آني" في شدة التعب ، فأخذت إلى النوم على الفور دون أن تفكـر في "جان بيبر" الذي لم يعاود مخاطبـتها خلال السهرة . سمعت صوتاً شديداً أيقظـها في منتصف الليل . لقد كانت عاصفة . إنها في حياتـها لم تسمع مثل هذا الضجيج . ترددت لحظة ولم تعرف ما إذا كان ذلك زلزالاً أو فيضاناً . كانت الأمطار تهطل بغزارـة ، والرياح تهز الأشجار بقوة الإعصار . في كل ثانية يضيء البرق السماء ، والصاعقة تضرب جذوع الأشجار .

كانت هذه أول عاصفة تشهـدـها في "إفريقيـا" ، وبدأت تشعر بالخوف . تعلقت في الملاءـة ، وأخذـت تصلي حتى تنتهي هذه العاصفة بسرعة كما كانت عادتها في طفولـتها . لكن بدت الطبيعة غاضبة جـداً . أخذـت تزار في السماء الداكنـة ، واشتدـت سرعة الرياح فانقلـعت شجرة من جذورـها في الحديقة . سمعـت فرقـعة شديدة ، وضرـبات ترددـ . سـدت "آني" أذنـيها . اعتقدـت أن ساعـتها الأخيرة على الأرض قد جاءـت . ولكن ابـعدـت أصـواتـ الـريـاح ، وتبـاعدـت

ترتكب خطأً، في حياء لم يرد أن يطيل النظر إلى ردائها الشفاف
الذي التصق بجسدها واستطرد:
— أين ذهبت يا آني؟

بعد لحظة الدهشة، استعادت ثقتها بنفسها، وهي مقعمة بالعزز
رفعت رأسها وواجهته:
— هذا لا يخص أحداً سواي.
تحولت ملامح "جان بيير" إلى الشدة.
— لقد وضعك أخوك في حماستنا، ولأجل ذلك فإني أطالبك
بتفسير ما صنعت.
إنها لم تره قط بمثل هذا التسلط. مما يشير الفضول أن هذا السلوك
قد أعجب "آني". كان هناك شيء ما في تسلطه يشعرها بالأمان،
ولكنها جاهدت حتى لا تترك أي شيء يظهر عليها أجابت:
— لنتحدث عن أخي ولكن قد يغضبك ذلك.
— فسرني ما تقولين.
— أنت تلهو وتستمتع بوقتك بينما هو يقابل خطرًا يهدد حياته،
وواترك المرأة أن تقول إنه أعز أصدقائك.
— ها نحن، لقد شركت في ذلك. هل ستلقيتي دراسًا عن
الصدقة؟
— لا.. ليس لدى وقت لاضيعه. أعرف أنك لا تشعر بمثل هذه
القيم خاصة إذا كانت قيمًا نبيلة.
تملك الغضب من "جان بيير" ورمقها بنظرة تشبه نظرة حيوان
مفترس يستعد للانقضاض.

— صدمة يا آنسة آني.
— ماذا تفعل هنا؟
بإشارة من يده أشار لها بأن تخفض صوتها.
— لا أحد يعرف.
والمطر يغرقها تماماً. كان صفير "آنبي" قد نفد.
— أسرع، هيا أاحك لي.
أجاب "أندريه":
— أنا لا أحكي شيئاً، إنني أحرسك. لقد أخبرني سيد "جيروم"
أنك تナمني هنا عند آك "دوفرين"، ولذلك جئت.
— لكن لماذا؟ هل أنا في خطر؟ تكلم بصرامة.
— بصرامة يا آنسة.
فهمت أنها لن تأخذ منه أكثر من ذلك، وارتاحت لأنها استجحت
أنه ليس هناك خبر شيء بشأن أخيها أو والدتها تركته في هذا المكان
وتوجهت باقصى سرعتها إلى المنزل.
لقد أغرقها ماء المطر تماماً، والتصق رداء النوم على جسدها، والماء
يساقط من شعرها، وقدماها موحشان. تسمرت عند باب الصالون.
كان "جان بيير" ينتظر والغضب في عينيه.
— هل تذهبين كثيراً للعب تحت المطر؟
— أنا؟!
خفضت رأسها. تأملها "جان بيير" متخلياً عن سلوكه المتبع
البارد الذي اعتاد أن يعاملها به.
كانت جميلة جداً في مظهر الفتاة الصغيرة التي اكتشفت وهي

- أصلحك بالاستمرار في ذلك.

- ولماذا؟ هل لك كل الحقوق؟ منذ عودتك لم تكف عن معاملتي كأنني... كأنني... .

ارتعشت صوتها من شدة الغضب ومنعها من أن تجد الكلمة الصحيحة. سأله "جان بيير":

- مثل ماذا؟

- مثل صبية.

- لدى أسبابي . واني أكرمنك بذلك.

- شكراً . سيمعننا ذلك من المواجهة، لأنني لدى العديد من الأشياء التي أريد أن أحذثك بشأنها .

فجأة غير "جان بيير" سلوكه واسترخي وعاد إلى الهدوء. ذهب ليجلس في مقعد، وعقد ذراعيه ونظر إليها.

- إني أنتظر. أرجو المغفرة لأنني جلست ولكنني افترضت أن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً. أصلحك بآن تفعلي مثلي وتجلسني.

وأشار إليها بالجلوس في أحد المقاعد. غاضبة كالنمرة التي فقدت فريستها ارتعشت "آني" ثم قالت:

- من السهل دائمًا إدارة كل شيء في اتجاه متحرف. لا تعرف أن هناك دائمًا مشاعر صادقة؟

- هل أكدت على العكس؟

- أوه لا. ببساطة... إنك تتصرف... . تتصرف في أناية وفقاً لصلحتك الشخصية مثل الطفل المدلل. إنك محظوظ الآن. ولكن قد ينصرف عنك الحظ يوماً ما فتجد نفسك في مشقة

وحاجة.

- سافكر فيك . سأتهي وأدق بابك . أنت متفهمة تماماً، وحقيقة جداً، وذكية، وستقومين بمعداوتي.

- ليس لديك أي شفقة إذن؟

- ما قيمة الشفقة في هذه اللحظة؟ هل ذلك سيخفف من مشاكل أخيك؟ هل سيسمح ذلك باستعادة ثلاث شاحنات؟

- لكن...

أسكتها بإشارة. إن "جان بيير" لا يحب أن تلقنه هذه المتجهة الصغيرة درساً.

- هذا يكفي هذه المرة يا آني . أنت تلوميني على أشياء كثيرة. أنت غير قادرة على مساعدة أميرتك ، وتريديني أن أفعل ذلك مكانك.

صاحت "آني":

- أبداً.

- بأي قانون تحاكميني؟

نهض واتجه نحو المشرب. انهارت "آني" في أحد المقاعد. كانت الطينة قد جفت على قدميها، وبدأت تشعر بالبرد من ملابسها المبللة وشعرها المبتل. تشعر ببرد حتى عظامها.

صب "جان بيير" لنفسه شراباً، ولم يقترح عليها تناول الشراب، وعاد ليجلس في مواجهتها.

- في البداية أنا لا أتحدث مع الفتى الصغار حتى لو كان في العشرين فإنهن يخلصن الأمور بعضها البعض. هذا يثير المتاعب! إذا

والاكثر من ذلك لماذا راقصتني في تلك الليلة؟ هذا لم يعد له أي
أهمية لاني لم أمن أن أقابلك فقط.

- انسيني إذن.

- شكرأ، ولكن كسر السحر منذ وقت طويل، ولم يعد له أي
تأثير. أريد فقط الا أقابلك بعد ذلك في طريقي.

استاءت وهررت إلى غرفتها. منعها الغضب من أن تبكي. خلعت
قميص نومها المبتل ولبس فستانها الأبيض، ووضعت إيماريا على
شعرها، ونظرت إلى ساعتها: كانت الساعة الثانية صباحاً. كان
قرارها بدون رجعة؛ رحلت على الفور!

فتحت الباب الذي يؤدي إلى غرفة المعيشة. بدا "جان بيير"
مستغرقاً في التفكير. لم يسمع شيئاً. أغلقت الباب دون أن تحدث
صوتاً، ودون أن تنتظر خرجت. كانت تتوقع أن تجد "أندريه"؛ حيث
يصحبها إلى منزلها.

كان المطر مازال يتتساقط ولكن لم تكن تهتم بذلك. سارت في
شجاعة نحو آخر الحديقة حيث تركت خادمتها.

- "أندريه"... "أندريه".

سمعت صوتاً. أملت أن يظهر بسرعة ملاكمها الحارس؛ حتى تشعر
بالأمان، ولاحظت أن "أندريه" لم يصدر عنه أي صوت.

شعرت بيدين فوق كتفيها. في اللحظة التالية شعرت بمنديل
يوضع على فمها، وأحد يرفعها من على الأرض، وفقدت وعيها.

كنت أهتم بذلك بسبب صداقتني مع "جيروم" ووالدك الذي
أحبه كثيراً.

- إنهم لا يطلبان منك أكثر من ذلك.

- هذه ملاحظة تدعو للأسف. لقد أصبحت كثيبة.

- هذا خطؤك.

- أريد أن أعرف ما هي أخطائي إذا كان هذا سبب ضميرك فهيا.

- ضميري ليس في حاجة لكي يستريح. هذا بالتأكيد ما يجعلك
قوياً جداً ولا تتأثر.

قال في ضحكة ساخرة:

- أريد أن أشير عليك بأن بعض الشخصيات أثارتها. أثارتها
كثيراً.

كانت هذه الملاحظة أكثر مما تحتمل "آني".

- من فضلك التزم بالللياقة ولا تتحدث عن ذلك.

- هذا يضايقك، أليس كذلك؟

أفرغ "جان بيير" كوبه وأضاف:

- هذا المساء يا آني لا تتكلمي إلا عن موضوعات جادة. والحب
جزء من النسيج الإنساني.

- توقف!

- أنت فتاة صغيرة من القرن التاسع عشر.. هذه هي أنت، إبنة
بيضاء جميلة وصغيرة.

قالت "آني" وهي تقف في وثبة:

- وأنت متعرجف. لا أعرف لماذا تحدثت معي في مطار "نيامي"؟

الفصل العادي عشر

سمعت صفاراء.. كانت صفاراء تكاد تكون غير مسموعة ولكنها سمعتها لشدة انتباها.. استدارت، كان هناك يد تلوح بين الحشائش.

لم يكن لديها ما تفقد. تقدمت في بطيء نحو الحشائش التي تعلو أكثر من متر وخمسين سنتيمتراً. اختفت اليد. تسمّرت "آني" في مكانها.

همس صوت نسائي صغير:
- بسرعة... تعالى.

تقدّمت "آني" ، ووُجِدت نفسها أمام فتاة سوداء ومبسمة. لقد دُمِّت طول اليوم والليلة. إنهم يعتقدون أنك قد مُتْ. سقطت "آني" على ركبتيها. أمسكت الطفلة التي لم تتعد العشر سنوات يدها.

- سرّاحل، سأقودك إلى قرية "أندرية". إنها قرية جيدة جداً بالنسبة إليك.

سألتها "آنّي":

- هل تعرفيين "أندرية"؟

كانت الفتاة الصغيرة تقوّدّها بالفعل.

- إني لا أحب أن أؤذّي سيدة مثلّك؛ لذلك قررت أن أوقفك. أخذت دواء ووضعته على شفتيك.

كانت الفتاة تتحدث وهي تقدّم في بطيء دون أن تحدث صوتاً. سحبّية كانت "آنّي" تتبعها، وتقلّدّها.

- ما اسمك؟

استيقظت "آنّي" على سرير من الورق الجاف. أين كانت؟ جالت نظرتها في الحجرة. إنها خاوية خاوية تماماً، الحوائط من الجص.

صاحت:

- "أندرية" ... "أندرية".

تذكّرت أن ملاكها الحارس كان قد اختفى، وبدأت الأمور تتضخّف في ذاكرتها، وتحقّقت أنها قد تم اختطافها لأسباب غامضة. للمرة الأولى وهي في قلب الخطر لم تشعر بالخوف . كانت الرغبة في البقاء هي الأقوى.

نهضت في مشقة. وقفّت وهي تشعر بأن جسدها مازال ثقيلاً. ترّنحت ولكنها استطاعت أن تقف. قدمها الحافيتان غاصتاً في الأرض. أين حذاؤها؟ بحثت ووُجِدت بجوار هذا السرير الغريب المصنوع من أوراق الشجر الجافة. من الذي تحلى باللطف لكي يخلعه لها؟ لكي تلبسه اضطرت أن تجلس. كان رأسها يدور. لا يجب أن تستسلم. مستحيل أن تبقى دقيقة واحدة في هذا المكان. وبعد مشقة كبيرة نهضت، وتوجهت نحو الباب المفتوح.

في حرص أفلت نظرة إلى الخارج. لا يوجد أحد. كان ميدان القرية خالياً تماماً، اعتقادت أنها قد نصب لها فخ ولكنها لم تستطع أن تقاوم رغبتها في الخروج. كان النهار قد برغ بالكاد. الهواء يضرّب وجهها منشطاً كل قدراتها. بسرعة كالبرق توجهت خلف المنزل.

- انبعثت رائحة عفنة لا تطاق . في الغابة كان الظلام دامساً كاماً في
 قلب الليل . دون أن تضيع الوقت تقدمت " زينياً " أمامها تشق
 الطريق بعصاها بين الحواجز النباتية .
 - زينيا .
 - قولي لي يا " زينيا " هل قرية " أندريه " بعيدة ؟
 - إنها في منتصف النهار .
 تبيت " آني " أن المسافات هنا تختلف عنها في " أوربا ". يبدو أنها
 تستغرق عدة ساعات من المشي ، ولم تكن تشعر بانها قادرة على أن
 تحتملها .
 - يجب أن نذهب بسرعة . ستذهب القرية في البحث عنك قريباً .
 - إني متعبة يا " زينيا " .
 - ستحسندين . سيعمل الدواء بسرعة .
 - هل تعتقدين ؟
 التفتت " زينيا " لتبتسم إليها .
 - نعم .
 إنها لم تتصور قط أنها ستدرين بحياتها لفتاة صغيرة .
 وعدت " آني " نفسها بأن تحفظ لها هذا الجميل طوال حياتها ، ولقد
 منحها ذلك الشجاعة .
 وصلتا إلى الغابة .
 همست " زينيا " :
 - لقد نجونا .
 وجدت " آني " صعوبة في أن تصدق ذلك . إن أوراق الأشجار
 والخشائش تشكل عائقاً أمامهما . في خبرة التقطرت " زينيا " عصا من
 على الأرض فتحت لها ممراً ، ودفعت إليه " آني " .
 - ادخلني .
- في البداية شعرت " آني " بانها ستموت من الخوف . ولكنها تغلبت
 على خوفها بسرعة . لم تكن هذه الساعة المناسبة للتراجع . الخوف
 يحدى السيقان والمخ ... ناظرة إلى " زينيا " توصلت إلى أن تتسلل
 بالشجاعة . كانت " آني " من هؤلاء الدين يتمتعون بطبيعة مدهشة
 بعندهما البعض ضعيفة في الأوقات العادية ولكنها تعرف كيف
 تتحملي وتواجه أخطر الصعوبات .
- تبعت " زينيا " تماماً . كان ينبع من الأرض عطن يسبب
 الاختناق . القرود تصبيع ، تزرع خوفاً حقيقياً في الغابة . كانت كل
 عصافير ترقق في الوقت نفسه ، ثم عاد الهدوء من جديد . أجبرت
 " آني " نفسها على لا تفك في شيء أو على الآخرى أن تشبع
 خطوات صديقتها العزيزة الصغيرة .
- بعد ساعتين من التقدم البطيء - وأخيراً - خرجنا إلى الهواء
 طلق . استقبلتها الشمس . أغمضت " آني " عينيها لأنهما كانتا قد
 تعودتا الظلام . فقهت " زينيا " لتكشف عن أسنانها اللؤلؤية .
 - لن يستطيعوا العثور علينا .
- هل تعتقدين ؟
 - إنهم لن يتخيلوا أبداً أنك مررت من هنا . لا يمكن لا يرضي أبداً أن
 يدخل هنا .
- حتى الرجال ؟

هرت "زينيا" رأسها ليس في فحزو لكن في رضا قائلة:
- يوماً ما سأذهب إلى "فرنسا".

- خلعت آنني حداها الأبيض، أخرجت "زينيا" إيشاريا من كمها.

- ضعيه على رأسك الشمس ساخنة.

وضعت آنني الإيشارب على رأسها، وبدت كالبوهيمية الشقراء: خداها متوردان، فستانها ممزق، شعرها أشعث.. لم يعد بها أي صلة بالفتاة المتحضرة.

في طاعة تبع إرشادات مرشدتها. سلكتا طريقهما وسط الخاشش البرية.

في تلك الأثناء كان هناك اجتماع يضم عائلة "لاجرانج"، وعائلة دوفريين - الأب والابن - كلهم يحيطون بـ"أندريه".

- عفوا يا سيدي... لقد أفلحت التعويذة. لقد تم إنقاذ آنني.

- كيف تصدق هذه الحماقة؟ هؤلاء الذين اختطفوا ابنتي لن يتربكون بالتأكيد تهرب.

قال السيد دوفريين:

- متعظياً أنت محق، وعلى الرغم من ذلك يجب علينا أن نعتمد على هذا التليفون. تعرف مثلي تماماً أن هذه الوسيلة الغربية للاتصال قد أتقذتنا أكثر من مرة.

قال "جان بيير":

- لقد قلت لاً أحد أبيض، والسود يتراهنون على عبورها.

توقفت "زينيا" وبدت الجدية على ملامحها.

- لقد كنا محظوظين. لم أر أي ثعبان وإلا أحد يعرف كيف كنت سأقتلته.

سارت آنني والخروف يتملكها، ورغبتها في العبور بسرعة قد زودتها بأجنحة.

- هل نحن بعيدتان الآن؟

نظرت "زينيا" إلى الشمس:

- إنها العاشرة الآن. سنصل نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً.

- بسرعة. لو توقفت فلن أستطيع السير مرة أخرى.

تصحتها "زينيا":

- أخلع حذاك.

- لم أعد على السير حافية القدمين.

- ستجدون صعوبة في البداية ولكن ستشعران بتحسن بعد قليل.

قالت آنني وهي تضع أصابعها على الأرض:

- الأرض ساخنة جداً.

- كما تشاهين. ولكنك لن تصمدي أمام هذه الغابات التي تمنع الدماء من السرير.

تأملت آنني الفتاة في فضول إن هذه الفتاة السوداء تعبر بشكل أفضل من كل هؤلاء اللاتي والذين قابلتهم هنا.

- من علمك الفرنسية؟

- إبني أذهب إلى مدرسة الراهبات. إبني تلميذة مجتهدة.

الجنوب، وأنا سأذهب مع "أندريه".
- ستضيع وقتك.

- إبني أثق بحدسي .. هذا صحيح. لكن لا تتبعوني. دعوني
أنصرف على راحتني.

كان "أندريه" قد بدأ يفقد صبره.
قال "جيروم":

- الا تعتقد أنه سيكون قد فات الأوان؟

ابتلع "جان بيير" قهوته. تأمله "جيروم" وقال له:
- تبدو منهكًا يا صديقي.

- لا عليك يا "جيروم".

تأمل "جيروم" حماسه في إعجاب. ربما يكون متعباً ولكن مفعماً
بالطاقة.

قال "جان بيير":

- أقسم أننا سنجد "آني" حتى لو اضطربنا إلى إزالة الغابات.
كان "أندريه" ينتظر مستندًا إلى باب السيارة.

- هيا يا سيدى للتحرك.
- ستحرك.

أشعل "جان بيير" سيجارته وانطلق.

- أتذكر المركب الذي شحط شمال النهر بدون التعريةة لم نكن
نستطيع إنقاذ الطاقم.
قال "أندريه":

- نعم يا سيدى إنها تسير نحو "كودرو" في الكيلو 15
قال "هنرى لاجراغ":

- أفضل أن نستمر في البحث وفقاً للقواعد التي وضعناها بالأمس
لتحط بالبلد، ونفترش في كل القرى.

قال "جان بيير" معترضًا:
- إنها إيرة في كومه قش.

لم يكن قد حلق ذقنه، ويظلل عينيه هالتان سوداوان. لم يكن
حاله أفضل من الآخرين. إن البحث الذي أجروه طوال الليل لم يسفر
عن شيء. لم يستطع "أندريه" أن يفعل شيئاً على الرغم من حماسه
لإنقاذ ابنته ميسدة. وعلى الرغم من ذلك كان قد بدأ بعض الخطوات
من جانبه. وهذا الصباح كان يفضل الشنق على التراجع.

كان "جان بيير" يتمتع بحسنة الخبر السري فاكتشف أثراً طيباً. ولم
يشك الجميع في نية هذا الخادم الطيبة. كما أنهن وفقاً للتجربة كانوا
يعرفون أنه من الأفضل الثقة بالسكان الأصليين عندما يتعلق الأمر
بعبور الغاية. كم من المرات فقدوا الطريق أثناء صيد البط؛ فلجأوا إلى
مساعدة الأفارقة. بدون معرفتهم الكاملة لأرض بلادهم لم يكونوا
ليجدوا طريقهم.

كان "جان بيير" رجلاً عملياً للغاية. قال بصوت قاطع:
- لنفرق: "جيروم" في غرب البلاد، "هنرى" في الشرق. أبي في

الفصل الثاني عشر

عادت الابتسامة المشرقة لوجه "جان بيير" فجأة. لقد كانت هي!

- حسنا يا "أندرية" .. لقد راحت.

أسرع "جان بيير" ومر بكل سرعته بجانب "آني" ومرشدتها الصغيرة، ودار نصف دائرة في الحشائش البرية، وفي الحركة نفسها عاد إلى الطريق.

صفقت أبواب السيارة، وشعرت "آني" - بمعنى الكلمة - بأنها قد رفعت يذراعي "جان بيير" القويتين، ضمها في أخوية نحو صدره ضاحكاً كأنه صبي قد قام بقلب.

- لقد عثروا عليك أخيراً.

دار بها ثم وضعها في رقة على الأرض.

أجب "أندرية" :

- لقد بدا أن "أندرية" ، قد تبا بخطر....

- هذا صحيح يا "آني" وأنت لم تسمعي ...

طائرة من الفرحة استدارت نحو الحادم وصافحته:

- لقد أردت أن الحق بك.

قال "جان بيير" وهو يربت خد "زينيا" :

- دعونا لا نتحدث عن ذلك.

قالت "آني" :

- بدونها كنت ساموت.

مال "جان بيير" نحو الفتاة:

- سنتالين هدية جميلة جداً.

- شكرًا .. لا داعي لذلك.

- نحن حريصون على ذلك. ما الذي يسعدك؟

لعت عينا الفتاة الصغيرة:

- هل أستطيع؟

- ما أكثر شيء ترغبين فيه؟

- أذهب إلى "فرنسا".

ففهمه "جان بيير" و "آني" .

ثم قال :

- بمفردك؟

- لا... نعم ولكنني أريد أن التحق بمدرسة راهبات في "فرنسا".

- صفة طيبة. سأهتم بذلك.

ركب "أندرية" و "زينيا" في المقعد الخلفي، وساعد "جان بيير"

"آني" على الجلوس في المقعد الأمامي.

- تبددين فتاة متوجهة.

رمقها بنظرة حنان. كان من الصعب التعرف عليها ولكنها كانت رائعة. شعرها الأشقر الكثيف يحيط بوجهها المتوردة. فستانها المزخر يكشف عن بشرتها الجميلة.

مررت لحظة الفرحة الأولى، وشعرت "آني" بالإحراج.

هل كانت تستطيع أن تظل غاضبة من الشخص الذي أنقذها تو؟

مستحيل أن تنسى المشاجرة التي دارت بينهما. ولكنها أيضاً لا

تستطيع أن تنسى ساعة اللقاء.

وخلال يومين ستعودين إلى كامل صحتك.
كانت "آني" متبعة تماماً، ويبعدوها أنها لن تستطيع أن تستعيد
قوتها. قاومت رغبتها في النعاس. أصبح شيئاً فشيئاً صعباً.
اهتزت رأسها مع اهتزازات الطريق.

سلك "جان بيير" طريقاً بين الحشائش البرية العالية.

- إيه سيدتي! إلى أين أنت ذاهب?
- إلى قريتك.

ربت "أندريه" كتف "جان بيير":

- لماذا يا سيدتي بما أنتا قد عثروا على "آني"؟
- لكي أعلن ذلك.

لم يعد "أندريه" يفهم شيئاً انفلت من بين شفتيه عبارة غريبة:
- سأجري اتصالاً هاتفيأ.
- اتصالاً هاتفيأ؟؟؟
- تعويذة إذا أردت القول.

رجع "أندريه" إلى الخلف. رقمه "جان بيير" بمنظره.
يجب أن نخبر الآخرين وإلا قضوا اليوم كلهم يفتشون.
ابتسم "أندريه" بتسامة عريضة.
- حسن يا سيدتي!

بينما كان الرجال يهتممان بالمسائل الخارجية كانت "زيانيا" تعتني
بـ "آني": قدمت لها لحاء ثمرة مملوءة بحلب الماعز.
- اشربي.. سيسريل ذلك عنك التعب.

كان لذيداً، شربته "آني". وبعد ذلك قدمت لها سيدة عجوز من

قبل يدها بصورة ضبيعية وجلس أمام عجلة القيادة.
- أتمنى أن يكون ذلك درساً لك يا آنسة "لاجرانج".
ابتسمت وسألت في قلق:

- أين أبي؟

لم تلتقي أي إجابة. سمعت صوت الباب يصفق ثم صوت آخر.
وفي عناد عرف عنها ردت "آني" سؤالها. أجاب "جان بيير" وعيناه
متباهتان على الطريق، وهو يقود بسرعة:
- في أثرك.

- يا إلهي.. لقد تسببت لكم في مشقة كبيرة.
- ألم يكن الأمر قاسياً بالنسبة إليك أيضاً؟

كان يتحدث بصوت عذب. كيف لا تذكر بدون أن تشعر
بالخجل الكلمات التي تبادلها ليلة العاصفة! ودت "آني" لو تستطيع
أن تعذر عنها. ألم تهاجمها؟ على الرغم من ذلك... دقت فكرة في
رأسها.. لقد كان يتظاهرها في الصالون غاضباً؛ لأنه عرف بخروجها.
لقد كان غضبها شديداً فاعماها.

ولكن الآن ألم يكن هذا دليلاً على... دليلاً على... انعقد
حلقها عن النطق بهذه الكلمة. كانت تخشى أن تنطق بها.
- آني، أنت لم تحبببني.

فرعنت.. التفت نحوه بوجهها الجميل المتسع.
- عفواً.. لكنني أجد صعوبة في تجميع أفكاري. لم أعد أعرف
أين كنت أو أين أنا.
- أفهم، إنها الصدمة. أنت تحتاجين للراحة. ستنهي أمي بك

هناك من ناحية أخرى هذه المشاكل الخطيرة.
لأنه لا يستطيع أن ينساها لحظة واحدة.
قالت "آني":
ـ أنا أيضاً أحتاج إلى أن أستوضح الأمر. لا أستطيع أن أبقى على
جهل بكل ما يحدث.

نهض السيد "دوفرين" ووقف في منتصف حجرة المعيشة. وقال
باختصار وبلهجة المتخصص آخر تطورات الموقف:
ـ التحقيق الخاص باختفاء الشاحنات الثلاث لم يتوصل إلى أي شيء. من المستحيل أن نعرف من كان على الطريق في ذلك اليوم الجميع شاهدوا السائقين وهم يرحلون. هذا كل شيء. من المستحيل أن نضع أيدينا على المذنبين الذين - بدون شك - وراء اختطاف "آني" أيضاً، وتحريض العمال على الهرب، وقتل واحد منهم.
ـ ألم تضف المعلومات التي أدلت بها "زينيا" أي شيء؟
ـ يبدو أن هؤلاء المجرمين لم يكن لديهم أي صلة بالقرية التي تركوا بها "آني".

ـ ولكن قد يكذب الزوج لكي يحموا المصوّهم.
ـ ليس عندما تهدّد قريتهم بالدمار، إنّي أعرفهم بالقدر الكافي.
ـ كانوا ميسّطرون أن يقودونا إلى طريق خطأ.
ـ هذا مذهل.

كانت كل الوجوه جمّعها قد ارتسمت عليها علامات الترکيز. إن الموقف غير واضح تماماً ويشوبه الغيم. انتظر "جان بيير" هذه اللحظة ليقول:

القرية فضاء خبر. أكلتها آني في شهبة. استردت قوتها بهذا الإفطار، ولكنها عندما ركبت السيارة عاد إليها النعاس، ولم تستطع مقاومته.

بعد يومين احتفل آل "لاجرانج" في حفل صغير بعودتهم. تم دعوة آل "دوفرين" وآل "كومتي". وصل "جان بيير" متاخراً. على عكس كل التوقعات كان بمفرده. صاحت "آني":
ـ أين أصدقاؤك؟

ـ لم أعد أرغب في اللهو معهم. على أية حال في هذه الظروف. فهم الجميع. أن الموقف في المزرعة قد ازداد خطورة. العمال يهربون في مجموعات. كان "هنري" مهدداً بفشل ذريع. قال "جيروم":
ـ لا أعرف كيف أشكرك على مساعدتك الفعالة.

توردت "آني" من السعادة. كانت معزولة تماماً خلال اليومين الماضيين فلم تكن قد عرفت أي تفاصيل عن الموقف. كانت تحمل تماماً أن "جان بيير" يساعدهم مساعدة كبيرة.
قال "هنري لاجرانج":

ـ معذرة يا "آني" إذا خلطنا همومنا مع فرحتنا بعودتك ولكنني أريد أن أوضح الأمر.
ـ كان ذلك في الواقع أغرب حفل في الموسم، كانت هناك الفرحة بعودة "آني" سالمة. "آني" وهي أجمل من أي وقت مضى ولكن كان

- إذا كان اشتراك سيارة في الاختطاف شيء يثير دهشتكم فيصبح من الغريب أن القرية المذكورة بجوار مزرعة أخرى للبن ... وتب "هنري" و "جيروم" من على مقعديهما.
- مزرعة ذلك الشاب الأبيض. هذا المدعى القادر من "مارسيليا" ! استطرد "جان بيير" :
- إنه يقيم هنا منذ ستين ولم يفلح أحد منا في عقد صداقة معه. هذا ليس كافياً. لكنني اقترح أن نوجه البحث في هذا الاتجاه لأن ... أشار بسبابته إلى الطريق المؤدي إلى المزرعة المذكورة:
- أرى أن طريق الشاحنات الثلاث لا يبعد كثيراً عن هذا الطريق. مسيرة لم تترك "آني" "جان بيير" بعينيها.

- بالتفكير المنطقي، فإن هذا الاستنتاج خاطئ تماماً... التفتوا نحوه جميعاً.
- لقد قدت من ناحيتي تحقيقي الخاص. أنتم تعرفون حاستي. وضع إصبعه على أنفه.
- لقد قادتني حاستي لتخيل حيلة عجيبة.
- حبس الجميع أنفاسهم. ابتسם "جان بيير"، وعادت إليه ملامح المغامر الجميل:
- لقد اختطفوا "آني". حسن. ولكن فقدت الطفلة المسكينة وعيها. السود يؤمنون بالخرافات. تملكتهم الخوف حتى إنهم اعتقادوا أنها قد ماتت. وضعوها إذن في سيارتهم ونقلوها إلى إحدى القرى... لتفف لحظة حتى نفكروا. أولاً - هل من المهم أن نعرف أي قرية هي؟ ثانياً - كيف استطاعوا الحصول على سيارة؟
- يجب أن نتأكد أولاً من أنهم كانت معهم سيارة.
- وفقاً لكلام "زينا" فهذا أكيد.
- قال "هنري لاجرانج":
- إنها لم تخبرنا بذلك.
- يكفي أن يكون لديك الوقت لشرشر مع هذه الصغيرة. وكما تعرفون، تخرج الحقيقة من أفواه الأطفال.
- شعرت "آني" بإعجاب شديد جعل قلبها يدق بشدة. لم يكتفى "جان بيير" بمساعدتها، إنه يقود الجميع في محاولة لكشف غموض هذا الموقف. كل شيء به كان يوحى بالقوة والثقة.
- فرد خريطة ووضعها على الحائط، واستطرد بصوت مهتز:

الفصل الثالث عشر

في "بامباري" كان ممثل القانون هو السيد "دوفرين". منذ صباح اليوم التالي بدأ في القضية. استقل منذ شروق الشمس السيارة ومعه ابنه. كانا يرتديان البوت، ويضعان قبعتين على رأسيهما ومعهما بندقيتان. كانوا يبدوان وكأنهما متوجهان إلى رحلة سفاري.

قالا معاً:

- إتنا ذاهبان للحصول على الدليل.

لم يكونا مستعدين؛ لذلك أسرع "لاجراغ" الأب والابن في ارتداء ملابسهما.

كانت كتبية قتال حقيقة.

- "أندرية"... أحضر لي البندقية.

- "مبولا"... أحضر لي جواربي.

كل هذا الضجيج أيقظ "آني" التي أسرعت إلى غرفة المعيشة.

- ماذا يحدث؟

صافحها آل "دوفرين":

- سنقوم بجولة بجوار محل إقامة ذلك المارسيلي.

- هذا خطير.

وضع "جان بيير" قبعته على رأسه وقال:

- ربما يكون كذلك، ولكن يجب أن نأتي إلى نهاية هذه القصة، لا يمكن أن تستمر أكثر من ذلك.

منذ أن أنقذها وأعادها إلى المنزل لم يتقابلَا وجهاً إلى وجه. كانت

تشعر برغبة في أن تتحدث إليه. ذهبت نظرتها من السيد "دوفرين" إلى "جان بيير". الوقت يمر. عضت شفتها وهي تفكّر بسرعة... يجب أن تجد طريقة لتبعد الآب. لم تستغرق وقتاً للتفكير في ذلك. لقد حقق الله أمنيتها على الفور. مسحًا بقديح القهوة في يده خرج السيد "دوفرين" إلى الشرفة. لم تعرف إذا كان ذلك لطفاً منه أم أنها مصادفة ممuida.

اندفعت نحو "جان بيير" وأمسكت يده:
- خذ بالك من نفسك.

كانت نظرة "آني" تعبر بصدق عن العاطفة التي ملأت صوتها.
- إني خائفة. "جان بيير"، عدتي أن تكون حذراً.

متاثراً لم يستطع أن يخفى شعوراً ما تحرّك في قلبه.. شعور عذب ومؤلم في الوقت نفسه. ضم يدها الصغيرة المرتعشة.

- "آني" ...
- عدلي ...

- هل الأمر مهم جداً بالنسبة إليك؟

ارتعدت من رأسها حتى قدميها وتحركت شفاتها. لم يخرج منها أي صوت.

- إني لا أفهم يا "آني"، في اليوم الماضي عاتبني، لأنني لا أطير في مساعدة أصدقائي والآن...

لم يستطع أن يكمل. دخل "جيروم" الغرفة وقبعته على رأسه. ابتعدت عن "جان بيير" بسرعة واتجهت نحو الصنبورة.

- هل تريد قدحاً من القهوة يا أخي؟

قال وهو يفحص بندقيته:
ـ نعم.

لكي تكسر جو الانفعال السائد بينها وبين "جان بيير" قدمت "آني" القهوة لأحدهما تلو الآخر. كان كل شيء جاهراً ودقت ساعة الرحيل. اجتمعوا حول السيارة اللاتدروفر. وقبلتهم "آني" جميعاً بالدور. وصلت أمام "جان بيير" وترددت.

ـ هل تقبلين الجميع إلا أنا؟
ارتفعت "آني" على طرف قدميها، ومدت إليه خدها الوردي من الججل، مال نحوها ولمس خدها بشفتيه. كانت قبلة سريعة، كانت قبلة مسرورة. رفع "جان بيير" رأسه واستعاد ابتسامته الوجهة.
ـ إلى اللقاء يا جميلتي. كوني هادئة لن تتأخر.
صعدت الشمس إلى كبد السماء. كان الحوف يشتعل قلب "آني".
ورحلوا.

ـ لقد أخبرتنا آنستي أن نسرع.
ـ ولقد أسرعنا في عملنا ونزيرد أن ننتهي منه.
كانتا ترتديان ملابس بسيطة وتعطيان الإيحاء بأنهما في منزلهما، وأصرتا.
ـ سنتنهي من هذا العمل.

حتى التجار لقد صمم على القيام بعمله. لقد أنزل الاثاث الجديد الذي جاء به وكومه في فوضى. كانت الفوضى بعد قليل كبيرة جداً.
شعرت "آني" بالغضب، وصاحت:
ـ لكن.. توقفوا!

كانت السيدتان تخيطان الوسائل والبياضات. توقفتا، وتحولتا بسرعة إلى مسألة كرامة.

ـ هل آنستي غير راضية عن عملنا؟
ـ لا.. الأمر لا يتعلق بذلك.

وفي حركة ثنائية فرداً السيدتان إحدى الستائر.

ـ وهذه ليست جميلة؟
أجايا "آني":
ـ جميلة جداً.

ـ إذن لماذا لا تضعينها؟
ـ لقد شرحت لكم تواً...
قال التجار:
ـ سيدتي أين أضع ذلك؟

كانت طاولة جميلة من خشب البلاد. لو في وقت آخر لشعرت

بعد بضع ساعات وصل التجار والخياط إلى منزل آل "لاجراج". لم يكن ذلك هو اليوم المناسب!

لم تكن "آني" في حالة مزاجية تستمع لها بالديكور.
ـ عودوا غداً. اليوم لست بخير. لن نفعل سوى عمل سيء.
لم تسمع السيدتان الرغبات ذلك الحديث بأذان مصغية، وأرادتا أن تعلقا الستائر بأي ثمن. تبادلنا بعض الكلمات في لهجتها، وقررتا ألا تغادر المكان وتسمرتا في وسط الصالون.

إيمان السكان الأصليين بـ تضليل والشمعوذة . وإنها الآن تستخدمن
السلاح نفسه بدورها . لم يجد أنها تفكّر . بل تصرفت كأن صوت
"جان بيير" الأ Jegش العميق يملأ عليها ما تقول :
— أين هم ؟
— في الحديقة ينتظرون .

تراجع شعورها بعدم القدرة ليترك مكانه لتصميم وعزم على
النجاح . كان هذا الشعور جديداً بالنسبة إليها . لم تتصور "آتي"
نفسها فقط أن تكون قادرة على مواجهة المواقف الصعبة . التفت نحو
الخياطتين وقالت :

— هذا عمل رائع .. لنبدأ الديكور . ضعوا اللوحات هنا ... وهنا .
كان من المهم أن تعطي لهم الانطباع بأنها قوية . باللهجة نفسها
أعطت تعليماتها للنجار . لا يجب أن يقولوا إن الآنسة "لاجرانج"
ليست صاحبة قرار .

— "أندرية" .. يمكنك أن تخبرهم آتي قادمة بعد ربع ساعة .
سعيدة ألقى التحية وانصرف . صعدت الفتاة الشابة السلم . لقد
تحولت إلى سيدة منزل حقيقة .

لقد تحولت "آتي" ، واستعاد وجهها لونه ، ولمعت عيناه .
امتلاّت غرفة المعيشة بالحركة . النجار ومساعدوه يضعون الأثاث .
الخياطتان تذهبان وترجعان ، تتحدىان وتضحكان ، تأخذان المقاسات
الأخيرة كأنها خلية نحل . النحل ، والشغالة ، كان الجميع يتحركون
في نشاط في كل الاتجاهات .

سعيدة بهذه النتيجة ، أسرعت "آتي" إلى غرفتها . اختارت ملابسها

"آتي" بسعادة كبيرة لمشاهدة هذه القطعة الفنية . اكتفت بـ أن نظرت
إليها في لامبالاة . وعلى الرغم من ذلك كان النجار فخوراً بعمله .
 وأشارت له إلى أحد الأركان بين الاريكة والنخلة الصغيرة .
— آه ! لا يا آنسني ؟
— ماذا ؟

— المكان هنا مظلم جداً يا آنسني .
بدأت الخياطتان تطرحان الأسئلة بدورهما . شعرت "آتي" بـ نوبة
عصبية تمتلكها عندما جاء إليها "أندرية" وقال :
— تعالى ، تعالى ... يجب أن تتحدثي إلى العمال .
همست "آتي" دهشة :
— ماذا ؟

— لقد جاء كاهن القرية ليقابلك .
ارتسم على وجه "آتي" علامات المفاجأة . مسحت جبينها :
— أرجوك يا "أندرية" كن واضحاً .
قال الخادم :

— إنهم يقولون إنها معجزة ؛ لأنك مازلت على قيد الحياة . إنهم
يريدون روًيتك يا آنسة "آتي" . يريدون أن يسمعوك . وعندما لم
تتحرك وبدت خائفة استطرد "أندرية" :
— هذا في مصلحة المزرعة يا "آتي" . يمكنك أن تطلب منهم أن

يعودوا إلى العمل .
هذا الخادم الشجاع لا يفوته أي فرصة ! بدأ عقل "آتي" يستعيد
يقطنه . وفقاً لتصور "جان بيير" فإن هناك دخيلاً متآمراً قد استغل

الفصل الرابع عشر

وصلت وهي تضع قدميها في البوت، وعلى رأسها قبعة. كانت في مظهرها هذا تشبه الرجال، شعرها الأشقر الكثيف يسقط متسلماً على كتفيها فيعطي مظهرها لمسة أنوثية لاتقاوم.

بدت قوية العظم، وواثقة بنفسها. بنطلونها وقميصها يبرزان تناسق أبعاد جسدها. في عينيها الزرقاء الصافية نظرة جامدة. خطت ثلاث خطوات في الشرفة، توقفت ونظرت إلى الجميع. كان رئيس القرية على رأس وفد من حوالي مائة رجل أسود. لو كانت في ظروف أخرى لارتعشت من هذا المشهد.

كان حب "جان بيير" يعزلها عن كل شيء، ويمدها بشجاعة ليس لها نظير. لقد كانت امرأة أخرى بالفعل. تقدمت خطوة أخرى، واستندت بيديها إلى الدرابزين في حزم. أصبحت نظرتها مسيطرة على الموقف، مسحت بها الحضور. صامتة تركتهم ينظرون إليها لحظة طويلة. ألم تكن هي البرهان الحي على المعجزة؟ خلفها ومبعداً قليلاً كان "أندريه" يقف مرتدياً زيه. بدأ بـ

قالت:

ـ أصدقائي. إني سعيدة برؤيتكم.

كانت كلمة أصدقائي التي استخدمتها في مهارة لها وقع رائع أبهج الجميع. تقدم الرعيم أسفل الشرفة وانحنى في أدب. انفصل رجل عن الجموعة وجاء بدوره؛ ليقدم التحية في أدب. قال الكاهن الساحر بصوته العميق:

بعناية. الملابس التي تستطيع أن تؤثر بها في عمال المزرعة.

وهي تستعد لهذه المقابلة المصيرية فكررت أيضاً في "جان بيير". إنها تشعر تجاهه الآن بإعجاب بدون حدود. وجهه الأسمر الرائع، ابتسامته المشيرة والعدبة. في ذات الوقت وقف أمامها في المرأة بدلاً من صورتها. ((أحبك، أحبك. هل سأستطيع في يوم ما أن أكون مناسبة لك. أوه يا "جان بيير" .. أريد أن استحق تقديرك... وحبك هذا كثير، أعرف ولكن صداقتك ... "جان بيير")) . دهشة لكلماتها هذه استندت لحظة إلى الحوض.

في لحظة ما، كانت قد وصلت إلى اليأس، وعاملته على أنه أناي ومتواحش... لقد كانت مخططة. لقد كان "جان بيير" شخصاً مميزاً. بدلاً من أن يعيق جماله ذكاءه على العكس زاده قوة. لقد كان لديه كل شيء، كل شيء على الإطلاق! السخرية، والرفقة، والتهور. قوي، باعث على لاطمئنان. بالقرب منه كانت تشعر بأنها امرأة خاصة جداً. امرأة تريد من يحميها... امرأة تريد أن تمنحه أطفالاً... تريد أيضاً أن تتحمّل حياتها.

لم تعد "آني" تحارب. إنها تحبه. إنه شعور قوي بشكل غريب، ومستعدة كي تضحى بأي شيء من أجله. إذا طلب منها أن ترحل إلى طرف العالم فإنها كانت ستترك والدها وأخاها وصداقة "مونيك دوفرين" الغالية. كانت تشعر بأنها قادرة على أن تفعل أي شيء من أجله.

تصاعدت أهمسات بين الجموعة، التفت الكاهن الكبير نحو العمال وهو يقوم بسلسة من الحركات غير المفهومة.

في اللحظة التي تلت ذلك، كان جمعيهم جاثين على رُكبهم.

قال زعيم القرية المميز ملابسه ذات الألوان الزاهية:

- الآنسة هي أم لنا جميعاً!

في دهشة نظرت إليهم آني. كانت تجد صعوبة في أن تفهم ذلك. كان "أندريه" يقطأ للغاية ولا حظ دهشتها.

كعادته تقدم نحوها دون أن يحدث صوتاً وهمس:

- إنهم يصلون من أجلك.

عندما سمعت ذلك فرعت، مستحيل أن تعتمد حركة هذا الرجل التي لا صوت لها.

- صه... مجرد أن ينتهوا تستطيعين أن توجهي لهم أي أمر. إنهم مستعدون أن يقتلو أنفسهم من أجلك إذا أردت.

- لن أطلب ذلك.

- حسن يا آني لقد ربحت.

استطرد الكاهن الكبير:

- آنسني يا أمنا... إن الدهر أمامك لتحقيق السعادة والسلام على هذه الأرض.

لقد تحولت إلى إلهة وثنية. لقد أصبح التراجع الآن مستحيلاً.

تركت نفسها ليقودها حدها. قررت أن تجib عن هذا الشرف بإشارة تحية وعرفان. رفعت قبعتها وملع شعرها الأشقر الطويل كالذهب.

- هذا رئيس القرية.

انحنت آني في احترام واستطردت بنفس النبرة المفعمة بالثقة:

- أشكركم على حضوركم. السيد "لارغانج" متغيب لبعض الوقت وأنا مكانه.

صاحوا في صوت واحد:

- تحيا السيدة!

بإشارة آمرة طلبت منهم الصمت:

- إننا نواجه اليوم مشاكل خطيرة. أعرف أنكم لستم سوى ضحايا. أعرف اليوم أنكم تريدون الاستمرار في العمل معنا.

قال رئيس القرية:

- نعم يا سيدتي. نريد ذلك ولكن على أن يتم معاقبة العمال الأشرار، وفقط عندما يتصرف السحر عن المزرعة.

قالت آني بصوت قوي:

- لقد تم كسر السحر وطردنا الشر. إنني لم أمت كما ترون.

كان يجب سماعها حتى يصدقوها! العذراء البيضاء الصغيرة قد هرمت الشيطان، خرجت من المعركة منتصرة وعلى رأسها إكلييل من النور. لقد أكدت آني على ذلك. كان السكان الأصليون في "بامباري" مخلوقين على ذلك، ولا أحد يستطيع أن يجعلهم يتخلىون عن عاداتهم.

رددت آني التي لم يعد لديها شك في الآخر الذي أنتجته:

- أنا لم أمت.

ولكن من يمت ثم لا يستطيع أن يرجع إلى عالم الأحياء.

"آتني" من فرض المخوف. كان يتصنون وقميص "جان بيير" غارقين في الدماء ووجهه شاحباً ساقطاً حتى صدره. كل ما به كان يشير إلى قربه من الموت.

- بسرعة "يا آتني" استدعى الطبيب.

تملكتها الدهشة واستغرقت ثوانٍ حتى تعي الحقيقة.
في البداية اعتقدت أنها فقدت رأسها.

- لكن أخيراً يا "آتني" ماذا تنتظرين؟ ألا ترين أن حالته خطيرة؟
وبسرعة انطلقت "آتني" وقد حل الأمل في إنقاذ "جان بيير" مكان الدهشة التي تمكنتها. هرعت إلى التليفون، ارتعش أصبعها وهي تطلب الرقم.

كل ما بها كان متمركزاً على فكرة واحدة: يجب أن يعيش! يا إلهي! يجب أن يعيش!

لقد كانت الجروح سطحية إلا أن الخطر الوحيد الذي كان يخشاه الدكتور "مارشان" هو تلوث هذه الجروح.
بعد أن قدم له العلاج اللازم، والحقنة اللازمة عاد إلى غرفة المعيشة حيث كان ينتظره "لارغاغ" الآب والابن وآل "دوفريين" وقد بدا عليهم القلق الشديد.

- سأترك معكم مريضتي. إنه من الخطر نقله إلى مستشفى
"بانجي".

- هل حالته خطيرة؟

- أتمنى أن أكون حجريرة بشقتكم. أتمنى أيضاً من الآن فصاعداً أن تستمعوا إليّ.

أحباب زعيم القرية:

- نحن أطفالك. قولي كلمة ونختفي من أمامك لأننا لم نساعد سيدي.

- أبقوا يا أطفالى .. أبقوا. عودوا إلى المزرعة واعملوا كما اعتدتم.
سامعو عنكم ...

رفعت يدها إلى فمها ثم أشارت كأنها ترسل قبلتها، وتوزع رحمتها.

- انهضوا الآن، وأظهروا لي عرفانكم بالعودة بسرعة إلى العمل.
عندما يعود السيد سيراكم ويسعد بكم.

نقل الكاهن الأكبر الأمر ونهض الجميع. قال "أندريه" بصوت منخفض:

- يمكنكم الدخول إلى المنزل.
دون انتظار دخلت "آتني" منزلها. هكذا لقد أراد القدر أن يجعلها تلعب دوراً جميلاً. ولكن بعد الظهر انفجرت ماساة جديدة. في "إفريقيا" دائمًا ما يخلط السحر بين الجننة والنار. توقفت السيارة اللاندروفر أمام السلم. صفت الأبواب. أسرعت "آتني".

كان "جيروم" والسيد "دوفريين" يحملان "جان بيير" بحدار كبير.
سار "هنري" أمامهم وعلى وجهه علامات الغضب. جحظت عينا

ضمت "أني" يديها وتنفست في عمق. كل شيء بها كان يشير إلى أنها بصدده مواجهة معركة غير تقليدية.

- لا يمكن أن يموت "جان بيير"!

لقد كان ذلك إيماناً بداخلها بل وتأكيداً. رن صوتها طويلاً في الحجرة.

هناك بعض القرارات التي تتسنم بالعدوى أيضاً. مثل الحروف. ساد الصمت، وطوى كل واحد منهم آماله، ودعا الله في صمت، ثم سأل الدكتور "مارشان":

- لقد استخرجت رصاصتين من جسد "جان بيير". عملي كطبيب ينتهي عند هذا الحد ولكن.

لقد كان لطيفاً جداً حتى أنه توقف عن طرح السؤال. قال السيد "دوفرين" على الفور:

- من الطبيعي أن تعرف. فضلاً عن أننا ليس لدينا ما نخفيه. أخبره السيد "دوفرين" بموقف عائلة "لجراغ".

- لقد قررنا إذن التفتيش ناحية هذا المزارع الصغير. بينما كنت أنا و"هنري" ننتظر في السيارة اللاندروفر ذهب "جيروم" و"جان بيير" يستكشفان المكان. اكتشفا على الفور الشاحنات الثلاث مخبأة تحت أكواخ ضخمة من جذوع الأشجار.

كانت الشحنة سليمة ولم يمسها أحد. كنا قد ذهبنا للحصول على دليل لإدانة هذا المزارع، ومن المنطقى أننا لم تصبننا الدهشة، وعلى الرغم من ذلك دهشنا كان لابد أن نعرف لماذا استولى هذا المتآمر على الشاحنات...

- ليس تماماً ولكنكم تعرفون أن الميكروبات هنا تنتشر بسرعة. لن يمكننا تحجب إصابته بالحمى، قد يمر بذرة حمى المستنقعات. هل هناك من يستطيع الاعتناء به بشكل مستمر؟

- نهضت "أني". كان يبدو على وجهها علامات القلق.

- إنني مستعدة لتقديم حياتي من أجله.

نظر إليها الجميع في تأثر شديد. لم تعد "أني" تخشى الكشف عن حبها. إنها لم تكن ثرثارة بل امرأة تصرخ بحبها. بقي الجميع في دهشة، باستثناء الدكتور "مارشان":

- إن شفاءه إذن بين يديك.

مسح جهته بمنديله الأبيض.

- لقد رأيت الكثير من الحالات الشديدة أثناء سنوات عملي الخمس والعشرين! وفي النهاية لم أحفظ سوى شيء واحد: المريض الذي يتعلق بالحياة كالجنون ينجو مهما كانت خطورة مرضه. وما أفضل ما يستطيع أن يجعل رجلاً يتعلق بالحياة!

أجابت "أني" دون أن تفكرون في تلقائية.

- الحب!

أشعل الدكتور دوفرين سيجارة جديدة من عقب السيجارة المنتهية.

- لا يوجد إذن سوى معجزة لينجو أبني.

كتمت "مونيك" دموعها وقد شجب وجهها. أحاط "هنري لجراغ" كتفيها في أخوية.

- يجب أن يكون لديك ثقة بالله. لن يخذلنا أبداً.

الفصل الخامس عشر

لقد كان شخصاً مسكيناً لازمه سوء الحظ وعدم التوفيق. كان يعتقد أنه سيد الشروة في إفريقيا، ولكن مزارع البن تتطلب الصبر. إنها لا تدر ثروتها إلا بعد عدة سنوات.

كما يتطلب ذلك نوعاً من التنظيم. لم يكن المارسيلي حكيناً، وأضاع كل أمواله في المقامرة. وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه وعندئذ اختبرت في رأسه فكرة القضاء على أعمال "لاجراج" حتى يصبح المصدر الرئيسي في المنطقة. لقد كان نذلاً ويه العديد من الرذائل ولكنه لم يكن أحمق.

بدأ يستخدم كارت الاستقلال الإفريقي ووعد السود بمستقبل باهر، وحرض المزارعين على العصيان مستعيناً بأعونه في مزرعة "لاجراج" والباقي معروف: رحل ثلاثة عمال عن المزرعة، وبعد قليل اتسع نشاطه مستغلاً إيمان السكان الأصليين بالخوارق، وبدأت معركة حامية الوطيس.

- ولكن كيف استطاع الاستيلاء على ثلاث شاحنات وقاديهما؟

- لا يوجد أسهل من ذلك. حاجز على الطريق. وكان أعون المارسيلي مسلحين. قتلوا بدون رحمة عمال "هنري".

شعر الحضور بالقشعريرة. استطرد السيد "دوفرين" على الفور:

- في الواقع لم يكن يحتاج إلى الشاحنات ولا البن. لقد كانت عملية نفسية؛ ليثبت بها فكرة "التحس" الذي أصاب مزرعة "هنري"، والذي يلقي بشره على عائلة "لاجراج". والباقي واضح.

- هذا الأمر غير مفهوم. إنها قصة محبوبة.

- شعرنا بأننا في معركة حقيقة. أحطنا المتزل ونحن مسلحون جميراً. واجه "هنري" الحراس الذين كان يستعين بهم هذا المارسيلي وأطلق النار في الهواء لتغريتهم. وفي تلك اللحظة واجهنا النذل.

- أعتقد أنه لم يهرب.

- على العكس. لقد بدأ ينكر كل شيء. توقف السيد "دوفرين" ليشعل سيجارة جديدة. انتهز "جيروم" ذلك وقال:

- لقد تحققتنا من أن هذا الشخص من أسوأ أنواع البشر. لقد كان لصاً جباناً.

لقد كان مستعداً لفعل أي شيء. قتل عمال آخرين لم يكن ليوجع ضميرة، لم يكن ذلك كافياً بما أن "هنري" مازال يسيطر على الموقف. ولكن وقع في الحفارة التي حفرها بنفسه. لقد دار إيمان هؤلاء السكان بالشعوذة ضده. كما افترض "جان بيير" لقد اعتقادوا أن "آني" قد ماتت، وتركوها في القرية قبل أن يفروا. وكانت هذه بداية النهاية.

التفت السيد "دوفرين" نحو "آني" واستطرد:
— يفضلك استطعنا متابعة أثره..

تدخل الدكتور "مارشان":
— ولكن هذا لم يفسر لي كيف أصيّب ولدك بطلقتي رصاص في جسده.

هز "هنري لاجرانج" رأسه في حزن:
— هذا خطؤنا. إننا لم نقدر خطير المارسيلي حق قدره. كان يجب أن نظريه كالكلب.

— لكن بعد أن واجهناه أخذ يرتعش ويطلب العفو...
— كان الخوف من الموت واضحاً على وجهه: تصبّ عرقه وأخذ يتلعثم بكلمات غير مفهومة.

— كان من المستحيل أن نستغل ضعفه.
— منحته ثلاثة ساعات ليغادر البلاد... ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف لا نقابلها أبداً في طريقنا. لأننا في هذا الموقف لن نتردد.

— باختصار لقد تملكتكم الشفقة.

استطرد السيد "دوفرين" وهو يشعل سيجارته في عصبية:
— كنت أتمنى استدعاء الشرطة لطرده بطريقة قانونية ولكن بدا لنا ذلك كافياً. ولم نكن متذمّرين، استدرنا وتركتاه بمفرده في الشرفة.

— كنا في الحديقة عندما انطلقت أول طلقة. كان رد فعلنا أن انبطحنا أرضاً ولكن "جان بيير" استدار وقبل أن يضغط على الزناد أصابته رصاصتان.

— انهار "جان بيير" على الأرض.
— ولم نتأخر في الرد عليه.
هذا الدكتور "مارشان" رأسه وقال:
— ولم يكن من المنتظر أن تتصرفوا على نحو آخر. ساحر شهادة وفاة هذا الوغد، كما أتمنى سأشهد معكم.
— شكراً.

— لا شكر على واجب. ما قيمة الطبيب ما لم يرح الأرض من مثل هؤلاء المتطفلين... الذين يشيرون الخطر في كل مكان؟
نهض ووعد أن يعود في المساء.

— في انتظار ذلك يجب تغيير الأريطة كل ساعة، ومسح شفتيه بالماء بشكل مستمر.
ليس لديه القوة بعد ليشرب.
كانت "آني" قد اختفت بالفعل.

ربت "آني" في رفق يده. إن الحمى جعلته ملتهباً. أخذ جان بيير يتكلم في هذيان. كان صوته غير واضح ولكن "آني" فهمت كل شيء.

- لم أؤمن قط بالحب. كنت أعتقد في العلاقات العابرة والنساء المتساهلات. لا أحب أحداً أبداً... آي واحدة. تعلقت "آني" بكلماته.

- ولا واحدة. ولا واحدة أثارت في قلبي عاطفة حقيقة. الحب هو النقاء. لقد كنت أعمى. "آني" ... "آني".

كان يناديها. لقد كانت هنا ولكنه لم يكن يعرف.

- "آني" ... "آني" ... آسف! تعالى... تعالى بسرعة! ما فائدة الحياة... إذا لم تأتِ؟

السعادة كالحزن يستطيع الاثنين أن يتسببا في الهاك. كانت غير قادرة تماماً على أن تنطق بكلمة واحدة.

- لقد كنت أخشى دائمأ نقاءك يا "آني" أنت المرأة الوحيدة التي احترمتها. لا... لا. أنت لن تأتي. لقد ظهرت باللامبالاة تجاهك. لقد صدقتي... "آني" أين أنت الآن؟ لماذا عدت إلى "فرنسا"؟ إيني أحبك.

غضب، وبدأ يفقد التعلق. غطى العرق جسده.

- دعيني أركب الطائرة. سأذهب لاحضر "آني"، سأتي بها إلى هنا. إنه هنا حيث يجب أن نعيش.

في مجهد خارق حاول أن ينهض. سقط على الفور مجهاً. تأثرت "آني" حتى دمعت عيناهما، ومسحت وجهه بقطعة قماش

تذكرت هذا الشعور الغريب الذي أحسست به عندما كانت واقفة أمام عمال المزرعة، لم يكن فخراً ولا نشوة السلطة. كان شيئاً أكثر عمقاً وقوه.. كان قوة خارقة قد سكنت روحها فجأة قادرة على التغلب على أي شر.

أرادت أن تؤمن بأن هذا الشعور لم يكن وهما! إنها الآن مسألة حياة أو موت.

مستقيمة وثابتة في مقعدها لم تتركه ببصرها. كانت هذه هي الليلة الثانية منذ إصابته. وكانت حالة "جان بيير" قد ساءت فجأة ارتفعت درجة حرارته إلى الأربعين.

عيناه مقللتان وعلى ملامحه علامات الألم، كان يقاوم معركة كبيرة. كانت سترة بيحاته مفتوحة حيث تكشف عن صدره الذي يتحرك مع تنفسه. كان يبدو أنه يحتاج إلى الهواء.

بللت "آني" شفتيه. همست:

- "جان بيير"... "جان بيير" لتشف!

حاول أن يفتح عينيه.. مستحيل. أثارت هذه المحاولة ألمًا بدا على وجهه. افترت من السرير بمقعدها وكانتها تريد أن تهدء بالشجاعة. أمسكت يده. كان هذه اللمسة هدأته. غفا دقائق ثم استيقظ فرعاً. أصدر بعض الكلمات. مالت "آني" نحوه.

- إني أحمق.... أحمق.

هز رأسه في مشقة محاولاً مرة أخرى أن يفتح عينيه بدون فائدة. سكن وتحرك فمه في وهن.

- الحب... لا يوجد سوى الحب الحقيقي.

- أحبك.

كانت قد نهضت وغاصت بعينيها الجميلتين في عينيه. لقد عادت إلى الحياة في اللحظة نفسها حيث أضاءت وجهه المتعب.

- أريد أن أعيش يا "آني" ... أن أعيش؛ لكي أسعدك.

إن المجهود الذي بذله قد استنفد قوته.

- لا تتركيني.

عادت إليه الآلام. كانت محاربتها أمراً عظيماً. إن الالهاب ينتشر على الرغم من المضادات الحيوية. سيفقى على هذا التحوّل بين الحياة والموت خلال خمسة أيام يعود فيها إلى وعيه بشكل متقطّع. في كل مرة كانت "آني" تحاول أن تمده بالشجاعة. كانت كالشمس الدافعة التي تخلل الكابوس.

ثم في اليوم السادس تحققت المعجزة. فتح عينيه بدون أي صعوبة. شعر و كان جسده قد تحرر من ثقل عظيم. كانت جروحه تضيقه ولكن دون أن تؤلمه. نهض في بطيء.

كان النهار قد تسلل إلى الغرفة عبر الشيش. رائحة الأرض الإفريقية .. تلك الرائحة المميزة صعدت إليه. في العادة كانت القردة تصبح. لقد عادت الحياة. سمع صوت سيارة وصفق الباب. وصلت إليه أصوات مختنقة. الخدم يتحدثون تحت نافذته. كانت "آني" تنام مكومة في مقعدها، كان شعرها الأشقر طويلاً يغطي وجهها. استعاد "جان بيير" فجأة ابتسامته الجميلة. شعر على الفور برغبته في مناداتها.

ولكن فتح الباب ودخل الدكتور "مارشان". نظر إلى وجه مريضه

مبلة بماء بارد.

- أبق هادئاً يا "جان بيير". إنك تساعد حرارتكم على الارتفاع.

لم يسمع شيئاً ولكن أحس بوجودها:

- من هنا؟ من يلمسني؟ لا أريد سوى "آني".

- أنا هنا يا حبيبي.

- "آني" ... "آني" أعيدوا لي "آني".

لم تستطع أن تمنع نفسها من البكاء. هذيانه يمنع أي فرصة للحديث.

أثناء بعض ساعات همس "جان بيير" باسمها ثم نام فجأة. هدأت دقات قلبه. أصبحت أنفاسه أقل حدة. ثم انتظمت. ارتخى جسده، وانخفضت الحرارة.

في الصباح الباكر استطاع أن يفتح عينيه، واكتشف وجود هذا الفلل الساهر عليه مد نحوها ذراعه.

- أتيت؟

اندفعت، ودفنت رأسها في عنقه.

- لم أرحل قط. إني أنا من يعالجك منذ البداية.

أراد أن يضمها نحوه ولكن معه ضعفه من ذلك.

- يا ملاكي ... أبقى دائماً إلى جواري. بدون ذلك لن أستطيع أن أشفى.

سالت الدموع على بشرة "جان بيير" العارية، تمنت "آني" :

- أحبك. أحبك منذ الأزل.

- كرري ذلك أرجوك. أخشى أن أكون قد أساءت الفهم.

المشرق وقال:

- أيها المهرج الشرير، هانت قد خرجمت من المازق ! يمكننا القول
بأنك قد أخفتنا.

فرزعت "آتي" ووبيت، ووجدت نفسها تقف على قدميها دون أن
تعرف كيف. نظرت إلى "جان بيير" بعينين حاخطتين من الدهشة.
وحساسيّة الأطباء قال الدكتور "مارشان":

- سأشرب قدر قهوة قبل أن أفحصك. على أية حال إني متأكد
من أنك أصبحت بخير.

توقف عند عتبة الباب وغمز بعينه.

- هذه الطفلة ستكون من الآن فصاعداً أفضل دواء لك.
اختفى. ضحك "جان بيير":

- إنه جدير بأن يكون شاهداً على زواجك. أما أنا فسأأخذ
"جيروم".

اندفعت نحوه وانهارت بين ذراعيه.

- "جان بيير"... هل هذا صحيح؟ ألم تعدد تهذبي؟

- إبني لم أفقد وعيّي تماماً، أنت تعرفي: لكتسي الآن لا أطلب منك
مُسوِّي شيء واحد: لا تشكي فيَ أبداً...

رفعت وجهها. جذبها برفق وقبل شفتيها. ثم ابتعدا؛ ليتأمل كل
منهما وجه الآخر. أخيراً فتح المستقبل ذراعيه واعداً بالسعادة.
اختفى الكابوس، وذهب الألم.

- "آتي".... يا حبيبتي. هل تريدين أن تصبحي زوجتي؟
أقسمي لي أنك قد نسبت كل الحزن الذي سببته لك.

مشرق وسعيدة لم تجد الكلمات التي تجبيه بها. لقد تخلت عن
كل الأفكار التي تستطيع أن تخيم على سعادتها، لن يحدث لها
ما يعكر صفو حبهما.

- أوه! أريد أن أعيش دائمًا معك.... دائمًا.

لعت الفرحة في عينيها الفاحتين. كانت خدرة من السعادة،
ومحبت نهائياً الآلام التي واجهتها في الأيام الماضية.
تعانقاً من جديد والحب يحيطهما. فجأة كان هناك صوت أقدام
بالخارج. ابتعدت "آتي" بسرعة، وعادت للجلوس في مقعدها. فتح
الباب ودخل الدكتور ومعه السيد "لاجرانج".

قال "جان بيير" على الفور:

- "هنري"... إني أطلب منك يد ابنته.

وجهه مزدهر وعيناه لامعتان من السعادة بما مرّ به من الأمس الذي
كان يواجه الموت قد شفي تماماً.

تأمله "هنري لاجرانج" طويلاً بنظرة الأب الحاني ثم أجاب:

- إنك لم تضع الوقت أبداً الشقي! ولكن لا تعرف لك: إني لست
دهشاً. كنت أشك في ذلك.

صاحت "آتي" وهي تتعلق برقبته:

- أبي... أبي، قل نعم.

- بالتأكيد. ولدي شيء آخر أقتربه عليك، وستكون هدية
زواجك.

قاد "آتي" إلى سرير المريض، وضم يديهما.

- أعتقد أنني تقدمت في العمر بالقدر الكافي لكي أتقاعد.

سنشتري أرض هذا المارسيلي النزل " وسيعنتي بها "جبروم" بينما ما
تديرين أنت "جان بيير" مزرعة "بامباري". أعرف أن آخر
محاولاتك لفتح مكتب هندسة قد فشلت. ستكون هذه فرصتك
للبقاء هنا في إفريقيا".

نهض "جان بيير". لقد كان هذا هو حلمه الدفين.
ولكنه كان يرفض دائمًا أن يتصلق به؛ لأنّه كان يعتقد أنه حلم
مستحيل. لأول مرة منذ سنوات يفقد "جان بيير" حاسته الفطرية في
الرغبة في الرحيل. تدخل الدكتور "مارشان" الذي يتبع هذا الموقف
بتأثير شديد:

- إذا سمع مريضي نصائحي في حكمة نستطيع أن نقيم الفرح
خلال شهر.

أجاب "جان بيير" في حماس وهو يضم يد "آتي" :
- يمكنك الاعتماد عليّ.

إنه يستطيع أيضًا أن يعتمد عليها! إنها تعرف كيف تكون
أمّرة، محبة، تستطيع أن تهدئ الحرج بابتسامتها. تلك المرأة التي
تعرف كيف تكون رقيقة وقوية في الوقت نفسه.

ثُمَّتْ بعون الله